الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة المسيلة

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم تاريخ

آثار الجالية الأندلسية بتلمسان الزيانية

ق (7-9هـ/ 13-15م)

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط

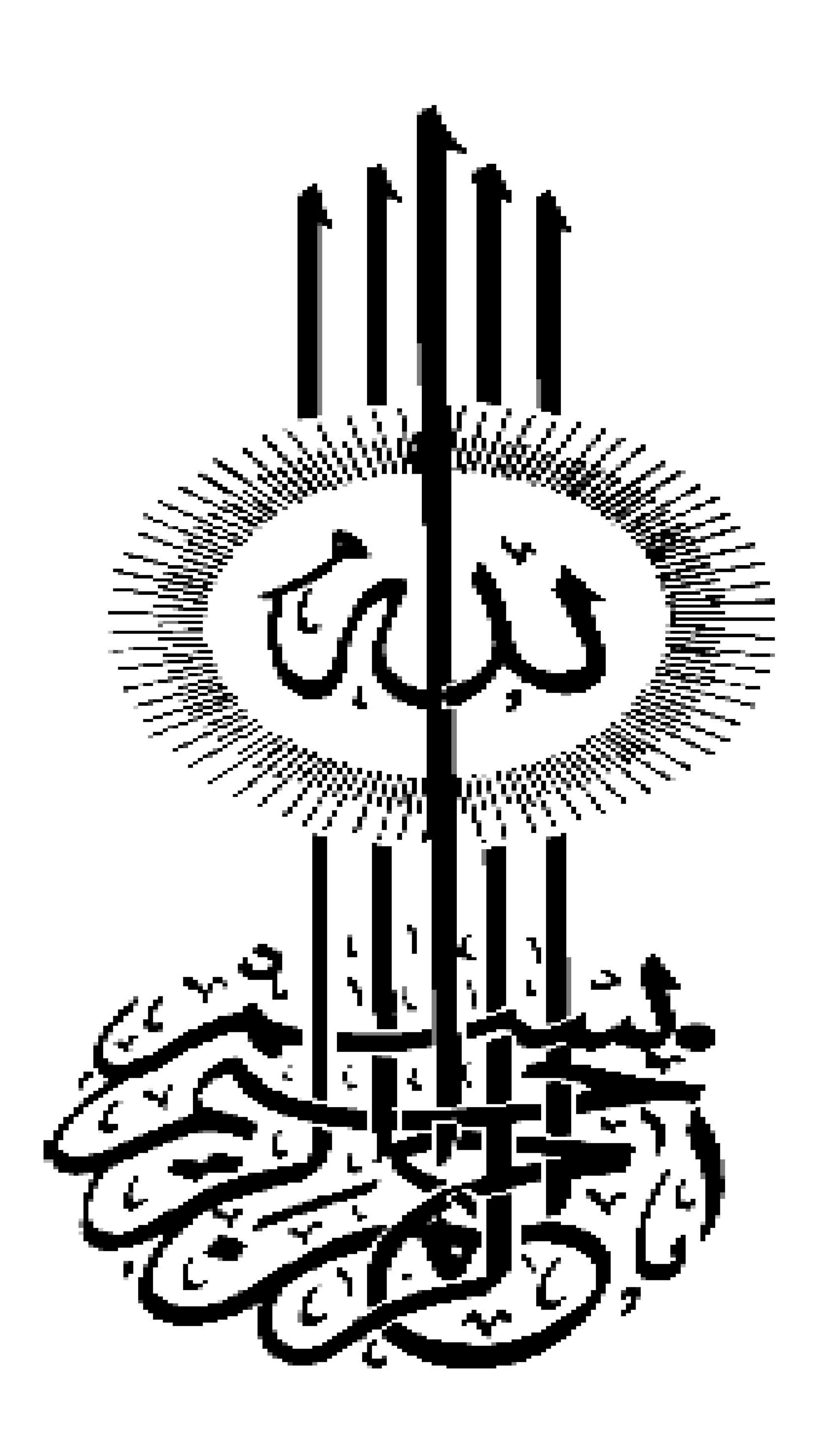
من إعداد الطالبة:

خولة بشيري

تحت إشراف الأستاذ:

محمد مزيان وشن

السنة الجامعية: 1433-1434هـ/ 2012-2013م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

أهدي هذا العمل المتواضع لكل من يتطلع شوقا لرؤيتي مكللة بشهادة النجاح

والداي العزيزين حفظهما الله من كل داء

إخوتي وزوجاتهم وأولادهم الأحباء

أهلي وأقاربي الفضلاء

صديقاتي وزملائي الكرماء

شكر و عرفان

نحمد الله على هذا العمل ونشكره جزيل الشكر، ومن باب من لم يشكر الناس لم يشكر الله فنتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ "محمد مزيان وشن" الذي تفضل علينا بمعلوماته و إرشاداته و نصائحه، كما نتوجه بجزيل الشكر إلى كل من الأستاذ "الطاهر بونابي" و الأستاذ "لخضر بولطيف" اللذان لم يبخلا علينا بتوجيهاتهما و معارفهما، و كل أساتذة قسم التاريخ تخصص وسيط

وشكر خاص إلى أخي الأستاذ "عبد العليم" الذي سهر معي من أجل إخراج هذا العمل في شكله النهائي.

و الشكر لكل من ساعدني في انجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

المقدمة

تعتبر الهجرة ظاهرة جغرافية يعنى بها انتقال السكان من منطقة جغرافية الى أخرى، حاملين معهم أفكارهم وعلومهم و فنونهم وعاداتهم و صنائعهم الى المكان الجديد الذي سيستقرون فيه، وقد شهد الغرب الإسلامي في العصر الوسيط بداية من القرن (7هـ/13م) هجرة المسلمين من الأندلس بعد ثمانية قرون منذ أن فتحها طارق بن زياد سنة (92ه/710م) بإمرة موسى بن نصير، فأنشأوا فيها حضارة مجيدة ملأت نفوس الناس اعجابا و اعتزازا باعتبارها احدى الحلقات الأساسية الفاعلة و المؤثرة في فلسفة الحضارة العربية الإسلامية، و البوابة الحضارية الأولى لأوروبا، و بعطاءاتها المختلفة، و تطعيم وتعزيز مضمون المعرفة الإنسانية الشاملة حيث منحتنا الأندلس عن طريق علمائها، و فقهائها، وفنانيها، أفضل القيم و أخلدها و أخصبها عطاءا ونبلا.

إلا أن المسلمين لم يحافظوا على وحدتهم وعقيدتهم وتماسكهم، فاتبعوا سبيل الشهوة والغواية والفتنة، ثم مالوا إلى حياة البذخ والترف والتقاعس عن الجهاد، ثم انغمسوا في حروب أهلية طائشة، فتكالب عليهم النصارى من كل حدب وصوب، ثم أوقعوهم في هزائم عدة، واستولوا على مدنهم الواحدة تلو الأخرى، إلى أن تم طردهم من الأندلس بصفة نهائية، بعد أن انعقدت محاكم التفتيش المسيحية، فكانت آخر معاقل المسلمين في الأندلس هي مملكة غرناطة التي سقطت بين يدي ملكي اسبانيا فرناندو الثالثوايزابيلا سنة (897 ه/ 1492م).

ونظرا لما آلت اليه الأندلس، أفلت شمسها و اضمحل نور الإسلام منها، فهاجرها المسلمون و انتشروا في بقاع العالم الإسلامي بالمشرق، وفي العدوة المغربية التي نخص منها بالذكر مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية في المغرب الأوسط والتي بدورها عاشت ظروفا سياسية ليست بالهينة حيث كانت ساحة للمعتزلة بين جيرانها الحفصيين و المرينيين، لكنها استطاعت أن تحافظ على مكانتها باعتبارها مدينة عريقة تنبض بروح

التاريخ لما تزخر به من تراث الحضارات التي تعاقبت عليها، و اعتبارا لذلك قصدها الأندلسيون من مختلف طبقاتهم الاجتماعية لاستكمال حياتهم هناك.

وانطلاقا مما تقدم ذكره، حري بنا ان نطرح الإشكالية التالية:

"هل كان للجالية الاندلسية اسهامات حضارية بتلمسان تحاكي تلك الحضارة التي كانت عليها الأندلس؟"

وعلى ضوء الإشكالية يمكن طرح التساؤلات التالية:

- ما هي الظروف التي أدت الى هجرة الاندلسيين من بلادهم؟ وفيما تتمثل عوامل استقرارهم بمدينة تلمسان؟
- ما نوع الاسهامات التي قدمها أهل الأندلس لتلمسان،وما هي الجوانب التي أثرت عليها، ولعبت دورا بارزا فيها؟

ويأتي اختيارنا لموضوع أثر الجالية الاندلسية بتلمسان الزيانية لسببين:

أولا: أن ظاهرة هجرة الاندلسيين نالت حظا وافرا من الدراسة في بلاد المغرب الأقصى وتونس على عكس بلاد الجزائر، حيث لم تحض هذه الظاهرة بالعناية والاهتمام الا بالنزر اليسير في بعض عناصر الكتب[1] والرسائل الجامعية[2] وبعض المقالات[3].وإن وجدت دراسة حول الأندلسيين في المغرب الأوسط فإن معظمها يصب في دراسة مدينة بجاية،ونحن نعلم ان بجاية في العصر الوسيط كانت تابعة للحفصيين بإفريقية بينما المغرب الأوسط كانت عاصمته مدينة تلمسان على عهد الدولة الزيانية من (ق 7 - 9 ه هــ/13 - 15 م)

---

[1]- دراسة عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج 1.
- دراسة مختارحساني : تاريخ الدولة الزيانية، ج 2، 3.
- دراستي محمد طمار: تلمسان عبر العصور، والروابط الثقافية بين الجزائر والخارج.
[2]- بسام كامل عبد الرزاق شقدان: تلمسان في العهد الزياني،(مذكرة ماجيستير).
- عبد القادر بوحسون: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس خلال العهد الزياني، (مذكرة ماجيستير).
[3]- ناصر الدين سعيدوني: التجربة الأندلسية بالجزائر.
- عبد الحميد حاجيات: تطور العلاقات بين تلمسان و قرطاجةفي العصر الوسيط.

ثانيا: أن الآثار الأندلسية في تلمسان نجدها ماثلة إلى يومنا هذا، وقد برز لنا ذلك عندما تم اختيار مدينة تلمسان كعاصمة للثقافة الإسلامية سنة (1432هـ/2011م)،كونها تحتفظ بالطابع الحضاري الاسلامي المغاربي والأندلسي.

ومما شجعني للخوض في هذا البحث هو أهمية الموضوع التي تكمن في إبراز الدور الحقيقي لعناصر المجتمع الإثني في التطور والازدهار الحضاري عن طريق التفاعل والتلاقح الفكري والثقافي، وهذا ما سنحاول دراسته في بحثنا إن شاء الله.

ولا أريد الخوض في الصعوبات لأنه لا يوجد عمل سهل، وإنما أردت أن أنوه إلى أمران واجهتهما:

أولا: المشكل الذي يعترض الباحث المبتدئ وهو إنجاز مذكرة تخرج للحصول على شهادة "الماستر" دون أن تكون لديه معرفة أو تجربة مسبقة عن إنجاز مذكرة في مرحلة "الليسانس"،وهذا مما يولد توترا وخوفا يؤثران فيزيولوجيا على الطالب،مما يخل من قيمة العمل.

ثانيا: أما الأمر الثاني فهو مايتعلق بالفراغ الواضح في المصادر التي تهتم بتاريخ بني زيان ومدنهم، ولاسيما عندما نحاول الحفر في البنى الاجتماعية وفي النسيج العمراني والجوانب الحضارية عموما، وتزداد الصعوبة تفاقما في محاولة التنقيب عن الجالية الأندلسية التي حلت بتلمسان، ناهيك عن المؤثر الأندلسي بالدولة الزيانية، باستثناء ما ورد في كتب الأسطوغرافيا التي حملت لنا معلومات بصورة محتشمة، متناثرة وغير منسجمة، ونجد أن السواد الأعظم من مضامين هذه الكتب يصب في التاريخ السياسي والعسكري للدولة الزيانية.

أما بخصوص المنهجية فقد اتبعت في دراستي هذه المنهج التاريخي من ناحية استبقاء المادة العلمية من المصادر والمراجع،والحرص على وتوثيقها لأصحابها حفاظا على الأمانة العلمية،وأقحمت آليات المنهج التاريخي

من تحليل ونقد واستنباط ومقارنة،تماشيا مع متطلبات الموضوع من أجل إبراز الآثار الفكرية والثقافية للجالية الاندلسية، ومختلف نشاطاتها السياسية والاجتماعية.

وقد اشتملت الدراسة على مقدمة استعرضت تمهيدا للموضوع وإشكاليته ثم عرجت فيها لدوافع اختيار الموضوع وإبراز أهميته ثم الصعوبات التي حاولت أن تعترض قيام البحث، ويليها المنهج الذي اتبعته، وصولا إلى عرض لأهم المصادر التي اعتمدتها بعد تفصيل لخطة البحث والمتكونة من ثلاث فصول:

الفصل الأول: تناول الهجرة الأندلسية إلى تلمسان الزيانية وعوامل الاستقرار بها في مبحثين:

أولا: أسباب الهجرة الأندلسية ومراحلها، ويتضمن ثلاثة عناصر: العنصر الأول وفيه دراسة الأوضاع العامة بالغرب الإسلامي خلال المرحلة المدروسة للتعرف على الوسط الذي ندرس فيه انتقال الجالية من الأندلس وظروف استقبالها في تلمسان، ويتناول العنصر الثاني والثالث أسباب الهجرة ومراحلها.

ثانيا: عوامل استقرار الأندلسيين في تلمسان وقد حددتها ثلاث عناصر أيضا:تكمن في الوحدة المذهبية (المذهب المالكي)،الموقع الجغرافي والذي كان له دور هام لقربه من الأندلس ولموقعه الاستراتيجي،ثم تأتي المساعدات الزيانية التي ساهمت في استقرار الجالية الأندلسية بتلمسان.

الفصل الثاني: جاء بعنوان الآثار الفكرية والثقافية للجالية الأندلسية بتلمسان، وهذا المبحث نال حصة الأسد من البحث وقد قسمته إلى مبحثين:

أولا: التأثير في مجال العلوم والمعارف،ويتضمن أربعة عناصر العلوم الشرعية والعلوم الأدبية والعلوم التجريبية وتتبعت في هذه العناصر مراكز تواجد العلماء ونشاطاتهم وإسهاماتهم بتلمسان ثم أنهيت بعنصر المؤثر الأندلسي في طريقة التعليم التي أعجب بها عبد الرحمن بن خلدون.

ثانيا: التأثير في مجال الفنون، وتناول هذا الفصل ثلاث عناصر العنصر الأول في فن الخط والعنصر الثاني في فن الشعر والموسيقى والعنصر الثالث في الفن المعماري.

الفصل الثالث:الآثار السياسية والاجتماعية للجالية الأندلسية بتلمسان، وجاء هذا الفصل مكملا لبقية الآثار التي تركتها الجالية الأندلسية على المجتمع الزياني وقد تطرقت فيه إلى ثلاثة أجزاء:

أولا: على مستوى الحياة السياسية وفيه التأثير على سياسة الدولة الداخلية وذلك من خلال الرجال الأندلسيين الذين تولوا مناصب بالبلاط الزياني، ثم التأثير على السياسة الخارجية من خلال إبراز دور الأندلسيين في علاقات الدولة الزيانية مع جيرانها ومع الإسبان.

ثانيا: على مستوى الحياة الاقتصادية، ويظهر لنا ذلك من خلال عنصر الفلاحة التي أدخلوا عليها أساليب جديدة وعنصر الصناعة من خلال الحرف الصناعية التي طورت النشاط التجاري.

ثالثا: على مستوى الحياة الاجتماعية وقد خصص هذا الجزء لإبراز الآثار الأندلسية على البنية الاجتماعية بتلمسان، ثم إبراز لمسة الأندلسيين في العادات والتقاليد وحتى اللهجة العامية.

وختمنا الدراسة بخاتمة ضمناها أهم النتائج التي خرج بها البحث إضافة إلى الملاحق.

أهم مصادر البحث:اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة متنوعة من مصادر الكتابة الأسطوغرافية المتمثلة فيما يلي:

كتب التاريخ: أفادتنا في الإحاطة بالإطار التاريخي للبحث وفي ضمنها معلومات عن العلماء الأندلسيين الذين حلوا بتلمسان ومارسوا نشاطاتهم بها، إضافة إلى التأريخ للدولة أو السلطان نذكر منها:

- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد[1]: لأبي زكريا يحيى بن خلدون (ت 780هـ/1378 م)، وهو من جزئييناختص الأول منه بأخبار بني عبد الواد ومواطنهم، وتأسيس دولتهم وعرض أعمال سلاطينهم بدءا بمؤسس الدولة يغمراسن بن زيان وانتهاء بالسلطان أبي سعيد وأبي ثابت، أما الجزء الثاني فلم يتم لنا الحصول على نسخة منه.

ويعتبر هذا الكتاب مصدرا مهما في هذه الفترة، لأن مؤلفه كان كاتبا للإنشاء لدى السلطان أبي حمو موسى الثاني، مما جعله شاهد عيان على معظم الأحداث التي أرخ لها، فقد اعتمدت عليه الدراسة كثيرا لأنه تضمن مادة هامة عن أكبر علماء تلمسان سواء من أبناء المنطقة أو المهاجرين إليها خاصة من الأندلس، الذين كانت لهم علاقة بالبلاط الزياني إلا أن ما يؤخذ عليه هو الإقتضاب الشديد في ذكر هؤلاء العلماء وإغفاله لتاريخ وفاة الكثير منهم .

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر[2]:للمؤرخ أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون(ت 808هـ/1405م) والذي يعتبر من أهم مصنفات التاريخ، استعملت الدراسة جزئيين الأول يتمثل في المقدمة والتي استخدمتها في التعريف ببعض المصطلحات والثاني يتمثل في الجزء السابع منه،إضافة إلى كتاب الرحلة وكتاب شفاء السائل .

- نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان[3]:لأبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي (ت 899هـ/1493م)والذي ألفه إرضاء للسلطان الزياني محمد المتوكل (866ـ873هـ/ 1461ـ1468م)، ورغم أن صاحب الكتاب من علماء تلمسان فإنه لم يهتم فيه بذكر هؤلاء العلماء واقتصر على أخبار بني زيان.

[1] تقديم وتحقيق: عبد الحميد حاجيات،(الجزائر:المكتبة الوطنية،1980 م).

[2] منشورات محمد بيضون(بيروت:دار الكتب العلمية،2003م).

[3] تحقيق :محمود بوعياد،(الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب 1985م).

كتب الطبقات والتراجم:تهتم هذه الكتب بحياة العلماء والفقهاء والصوفية، ترصدت لنا جوانب من حياتهم ومختلف أدوارهم، ومن هذه الكتب:

- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي [1] :لابن الزيات التادلي (ت 617هـ/1220م)نموذجا يكاد يكون فريدا من نوعه في رصد واقع الحركة الصوفية في المغرب الإسلامي خلال القرنين (5ـ7هـ/11ـ13م) تناول بالترجمة لـ279 صوفيا، وقد اتبع في إنجاز هذا الكتاب منهجية ذكرها هو بنفسه في ثنايا كتابه، إذ تحرى إثبات صحة الرواية عن طريق المقارنة بين الروايات واختيار الأصح منها، لكنه يخلو من مظاهر النقد نظرا لإيمان المؤلف بكرامات الصوفية، وتتمثل أهميته بالنسبة لأبحاثنا في كونه أمدنا بمعلومات ثمينة عن كيفية نشأة حركة التصوف بتلمسان عن طريق المهاجرين الأندلسيين.

- عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة ببجاية [2] : للقاضي أبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت704هـ/1306م) الذي أرخ للحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال ق 7هـ/13م، استعرض فيه نشاط الأدباء والفقهاء والشعراء والصوفية والمحدثين من أهل المغرب الأوسط ومن الوافدين الأندلسيين والمغاربة والمشارقة، وقد توخى في إنجاز هذا العمل طريقة منهجية اعتمد فيها بساطة الأسلوب ودقة الرواية،وساعده تكوينه في علوم الرواية والدراية على التحكم في توظيف المصطلحات الدينية والصوفية، إلا أننا لم نستسقي منه إلا القليل من التراجم ممن دخل إلى تلمسان.

- البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان[3]لإبن مريم التلمساني (ت 1014هـ/1605م)، وقد ترجم فيه صاحبه حوالي 102 عالم وولي ممن دخل مدينة تلمسان أو استوطنها أو أن أصله منها، إلا أن ما

[1] تحقيق:أحمد التوفيق،(الدار البيضاء : منشورات كلية الآداب، 1997م).

[2] تحقيق:رابح بونار،(الجزائر: الشركة الوطنية،1981م).

[3] مراجعة:محمد بن أبي شنب،(الجزائر:المطبعة الثعالبية،1908م).

يؤخذ عليه عدم تفريقه بين العلماء والأولياء، واسترساله في ذكر كراماتهم مما أدى إلى طغيانها في مضمون الكتاب.

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج[1]:لأحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ/1627م)،والذي قام بعمل ضخم من خلال هذا الكتاب حيث ترجم فيه 630 شخصية من الأعيان والمشاهير والفقهاء وحفاظ الحديث والصوفية ،مما جعله سجلا أساسيا لأعلام الأندلس والمغرب الإسلامي .

كتب الموسوعات:

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب[2]:للمقري شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041هـ/1632م)، يعد هذا الكتاب أهم موسوعة معلوماتية عن تاريخ الأندلس والمغرب وأوضاعهما الفكرية والثقافية رغم عيوبها من ناحية التنظيم ونقص المنهجية في سرد الأخبار، وقد اعتمدنا عليه في جل مراحل البحث خاصة في حركة انتقال الجالية الأندلسية إلى المغرب الأوسط عموما فتواجدهم بتلمسان على الخصوص خلال القرنين (7ـ8هـ/13ـ14م).

- وكذلك كتابه أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض[3] .

كتب الجغرافيا والرحلة:تشترك هذه الكتب في وصف المدن والعمران في بلاد المغرب، وإلى جانب الأخبار عن المدن والأمصار والمسالك فهي تختزن في بطونها مادة علمية ثمينة عن الجوانب الاقتصادية والفكرية والثقافية وحتى السياسية والاجتماعية، ولما كان المغرب الأوسط يتوسط دول المغرب الإسلامي ونقطة عبور واستقرار هامة بين الأندلس والمشرق، نالت تلمسان اهتمام كبار الجغرافيين والرحالة بصفتها عاصمة المغرب الأوسط فقيدوا ملاحظاتهم المتنوعة عن هذه البلاد، ونذكر من كتب هؤلاء الجغرافيين:

---

[1] تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة،(طرابلس:منشورات كلية الدعوة الإسلامية،1989م).

[2] تحقيق:إحسان عباس،(بيروت:دار صادر،1988م).

[3] تحقيق:مصطفى السقا وآخران،(القاهرة:مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،1939م).

- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو قسم من كتاب المسالك والممالك[1]:للبكري (ت 487هـ/1084م).

- رحلة القلصادي[2] : لأبي الحسن علي القلصادي الأندلسي(ت 891هـ/1486م).

- وصف إفريقيا[3]: للحسن الوزان الفاسي(ت947هـ/1550م).

---

[1] نشرته دار الكتاب الإسلامي،القاهرة،دون تاريخ.

[2] تحقيق:محمد أبو الأجفان، (تونس:الشركة التونسية للتوزيع،1978م).

[3] ترجمة:محمد حجي ومحمد الأخضر،(بيروت:دار الغرب الإسلامي،1983م).

الفصل الأول

أولا: أسباب الهجرة الأندلسية ومراحلها (ق07ـــــ09هـ/ 13ـــــ15م)

شهدت الأندلس في بداية القرن (7هـ/13م) أجواء مغيمة انتهت بظلام دامس على أهل الأندلس أدى إلى هجرتهم منها، من خلال هذا الفصل سنتعرف على أسباب ومراحل هذه الهجرة.

أ- دراسة الأوضاع العامة بالمغرب الإسلامي خلال المرحلة (ق07ـــــ09هـ/ 13ـــــ15م).

أ-1: الأوضاع السياسية:

كانت بلدان الغرب الاسلامي تحت الحكم الموحدي (524-668 هـ/ 1129-1269م) بقيادة مؤسس هذه الدولة "عبد المؤمن بن علي" (540-558هـ/ 1145-1163م) الذي قضى على دولة المرابطين[1] سنة (539هـ/1144م) ووضع يده على كافة بلاد المغرب والأندلس، ويقول ابن خلدون أن الموحدين تمكنوا من "الاستلاء على سلطان المغرب الذي غلبوا به الدول، واشتملوا الأقطار، ونظموا المشارق إلى المغارب، واقتعدوا كراسي الدول المسامتة لهم بأجمعها ما بين السوس الأقصى إلى افريقية".[2]

لكن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص ودولة الموحدين لم تفلت من هذه القاعدة، فكانت في طور شبابها قوية مترامية الأطراف[3]، ومع توالي الأيام أخذ الضعف يدب في مفاصلها، وذلك بضعف روح العصبية في صفوفها وتوزيع قواتها على شتى الأقطار وانغماس قوادها ورؤسائها في أنواع الترف[4]. إلى ان مني الموحدون بهزيمة ساحقة (609هـ/ 1212م) في معركة حصن العقاب[5] (التل)، التي قامت بين

---

[1] أبو العباس الغبريني أحمد ابن احمد ابن عبد الله: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نـويهض (بـيروت، دار الآفاق 1979)، 28.

[2] عبد الرحمان بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م) 74/07.

[3] محمد الطمار: تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر - (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م) 83.

[4] عز الدين عمر أحمد موسى: دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي (بيروت: دار الشروق، 1983م)، 107.

[5] معركة حصن العقاب: دارت هذه المعركة بين الموحدين بقيادة محمد الناصر الموحدي، و بين الجيش المسيحي الاسباني بقيادة ألفونسو الثاني بموضع يعرف في المصادر العربية باسم العقاب نسبة إلى حصن قديم ينسب إلى الأمويين و في المصادر الاسبانية las navas de tolosa الذي يعني الوديان الفسيحة و قد وقعت في أحد الوديان باسبانيا و انتهت بانتصار الاسبان، أنظر : ابن ابي زرع الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب و تاريخ مدينة فاس، تح عبد الوهاب ابن منصور (الرباط: دار المنصور للطباعة، 1972م) 238، 239.

الاسبان الذين استنجدوا بإخوانهم المسيحيين في أوربا والخليفة الموحدي "الناصر بن المنصور بالله" في الأندلس.
[1]

وتعتبر هذه المعركة من أهم العوامل التي أدت إلى تفكك الدولة الموحدية وتصدع الصرح الذي شيده "عبد المؤمن" ومن خلفه من كبار أمراء هذه الدولة[2]، لما مات "محمد الناصر" سنة (610هـ/ 1213م) ترك العرش "للسعيد بن الرشيد" وهو من احفاده، فثار ضده جميع عمال الولايات ولا سيما عمال تلمسان، فاس وتونس وهذا نظرا لضعفه في الحكم. [3]

وكنتيجة لضعف السلطة المركزية، وتناحر عناصرها اغتنمت المراكز البعيدة الفرصة وانفصلت فخرجت الأندلس عن طاعة الموحدين وتبعتها افريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى. [4]

وبهذا ظهرت على سطح بلاد المغرب، خريطة سياسية جديدة ساهم في رسمها ثلاث قبائل مغربية عريقة على أنقاض الدولة الموحدية[5]، وهي: بنو حفص بإفريقية (تونس)، سنة (627هـ/ 1229م)، وبنو عبد الواد بالمغرب الأوسط سنة (634هـ/ 1236م) وبنو مرين بالمغرب الأقصى سنة (668هـ/ 1269م). [6]

كما اقتطع ابن هود ما وراء البحر من جزيرة الأندلس واستبد بها، وورى بالدعاء "للمستنصر بن الظاهر" خليفة بغداد من العباسيين لعهده. [7]

ثم دخلت الأندلس في دور طوائف ثالث لكن الحضارة الأندلسية كان يهددها الخطر في هذه الفترة، فقد كانت الفتن والاضطرابات الداخلية تكتسي صبغة الحروب الأهلية الخطيرة. [1]

[1] أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس (بيروت: دار صادر، 1988م)، 446/01.
[2] عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1983م)، 11.
[3] مارمول كاربخال: افريقيا، تر: محمد حجي وآخرون (الرباط: مكتبة المعارف للنشر، 1984م) 372/02.
[4] عز الدين موسى/ المرجع السابق، 107.
[5] عبد العزيز فيلالي: تلمسات في العهد الزياني (الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر، 2002م)، 319/02.
[6] عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ – ما قبل التاريخ إلى 1962م – (الجزائر: دار المعرفة، 2009م) 154.
[7] عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، 07-96.

فتشتت السكان، وتبددت وحدتهم وقوتهم، فغرقت الأندلس في بحار من الدماء، وبعدما تجمعت قوى النصارى من اسبانيا والبرتغال على هذا الوجود حيث قاموا بالاستيلاء على كثير من المدائن والمعاقل والحصون[2]، فلم تبق إلا غرناطة عاصمة "ابن الأحمر" من دولة "بني النصر" التي صار أمراءها بالسيف تارة وبحسن السياسة مع الأحزاب المعادية أو بمخالفة القشتاليين الاسبانيين تارة أخرى، فجعلها العرب الذين طردوا من المدن المجاورة وطنا لهم.[3]

لكن ذلك لم يدم طويلا حيث سقطت غرناطة في يد الإسبان سنة (897هــ/1491م) و لم يكن لصيحات الفزع التي يوجهها بعض الشعراء والمفكرين والفقهاء أثرها في نفوس عامة أهل الأندلس كما كانت قبل هذا القرن لتحريك العزائم وحملها على استعادة المجد السليب واسترداد البلدان المفقودة، فكانت الدعوات إلى النجدة توجه إلى أمراء بلاد المغرب وإفريقية.[4]

إذا كانت الأوضاع بالأندلس في حالة مزرية ومتدهورة إلى غاية السقوط فهل ستكون الأوضاع بالمغرب أحسن حالا مما يسمح لهم بنجدة إخوانهم في الأندلس؟

تحدثنا سالفا عن ضعف الدولة الموحدية عقب وقعة حصن العقاب سنة (609ه/1212م) ونتج عن ذلك ظهور ثلاث قوى متصارعة حول السلطة، فكان كل أمير منها يدعي أن له الحق في لقب الخليفة، وبالتالي يحق له فرض سيطرته على جميع بلاد المغرب الإسلامي باعتباره الوريث للموحدين.

فدارت بين هذه الإمارات حروب طاحنة كانت أرض الزيانيين في الغالب ساحة لها بحكم موقعها الوسط بين الدولتين[5]، فمنذ أن اقتطع بنو عبد الواد[1] الأراضي التابعة لتلمسان سنة (627ه/1229م) بقيادة

---

[1] أبي الحسن على القلصادي االأندلسي: رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان (تونس: الشركة التونسية، 1978م)، 18.

[2] محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية –التنمية– (القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، د ت) 139.

[3] كرد علي: غابر االأندلس وحاضرها (مصر: المكتبة الأهلية، 1923م)، 112.

[4] القلصادي: المصدر السابق، 21،19.

[5] حاج عبد القادر يخلف: العلاقات الخارجية للدولة الزيانية (مجلة عصور، جامعة وهران– الجزائر – عدد 02، 2011م)، 143-158.

"جابر بن يوسف" إلى عهد "يغمراسن" ت (681هـ/1282م) الذي بويع سنة (633ه/1235م) كان الاعتراف الرمزي بالخلافة الموحدية [2]، فاعتبر "أبو زكرياء" صاحب تونس أن ذلك التقارب يشكل تهديدا له[3]، فخرج من تونس بجيوش وافرة أواخر سنة (640هـ/1242م) واجتمع ما نيف على عشرة آلاف بين فرسان ورجال يرمون كلهم بالنبال على تلمسان[4]، "وانسلت الجيوش إلى البلد من كل حدب فاقتحموه وعاثوا فيه بقتل النساء والصبيان واكتساح الأموال". [5]

هذا يوضح أن الدولة الزيانية اشتبكت في حروب كلفتها خسائر مادية و بشرية كبيرة، و لم تعرف الاستقلال بعد.

وفر "يغمراسن" من المدينة والتحق بالجبل ثم طلب الصلح، وتم الاتفاق على انفصال بين عبد الواد نهائيا عن الخلافة الموحدية، على أن يصبح تابعا للأمير الحفصي ويذكر اسمه في الخطبة. [6]

كما قام الأمير "يوسف بن يعقوب" من فاس بغزو "عثمان بن يغمراسن" سنة (697هـ/1297م) وقام بمقاتلته خارج تلمسان، فانهزم ودخل المدينة وسد أبوابها فحاصره بها أيام ثم رحل وترك أخاه وأمره بحرب تلمسان وأحوازها[7] وبايعه جميع بلدان من بني عبد الواد.

وقد كان السلطان "أبو يعقوب" صاحب المغرب الأقصى من بني مرين، جاثم على تلمسان سنة (700هـ/1300م) يحاصرها الحصار الطويل المشهور، وقد بث جيوشه في نواحيها وغلب على الكثير من

---

[1] بنو عبد الواد من قبائل زناتة الرحل التي كانت تجوب صحراء المغرب الأوسط، و كانت ينتجعون المراعي الخصبة و في عهد المرابطين انتقلوا إلى غرب المغرب الأوسط تحت ضغط الهلاليين، و لما وصل الموحدون إلى هذه الديار اعترضتهم زناتة فكانت بينهم حروب مشهورة فانحاش بنو عبد الواد إلى الموحدين و أصبحو من أخلص قبائل زناتة ولاءا لهم فاتخذوهم أنصارا و حماة ضد الأعداء و اقطعوهم الأراضي. و بضعف الموحدين استقلوا عنهم و اتخذو تلمسان مركزا لهم، أنظر عبد العزيز فيلالي 14/1.

[2] عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، 12.

[3] روبار برونشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي (13-15م)، تر: حمادي الساحلي (لبنان: دار الغرب الإسلامي: 1988م)، 60/01.

[4] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار االأندلس والمغرب - قسم الموحدين - تح: محمد ابراهيم الكتاني وآخرون (لبنان: دار الغرب الاسلامي، المغرب: دار الثقافة، 1985م)، 361.

[5] ابن خلدون: العبر، مصدر السابق، 94.

[6] روبار برونشفيك: المرجع السابق، 60.

[7] ابن ابي زرع الفاسي: لأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس (الرباط: دار المنصور: 1972) 386.

أعمالها وامصارها إلى أن هلك سنة (705هـ/1305م) وقام بالملك بعده حافده "أبي ثابت" ووقع بينه وبين صاحب تلمسان "أبي زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن" وأخيه "أبي حمو" العهد المتأكد على الافراج. [1]

إلا أن السلطان "أبا الحسن المريني" زحف إلى تلمسان وملكها عنوة سنة (737 هـ/1336م) كما قام بحركته إلى افريقية في سنة (748ه/1347م) فاصطدم بمعارضة العرب المتمركزين في المنطقة الجنوبية ومني بهزيمة شنعاء سنة (749هـ/1348م)، ثم استقل المغرب الأوسط وعادت إلى الوجود إمارة بني زيان بتلمسان والامارة الحفصية بافريقية و بجاية وقسنطينة. [2]

أ–2: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

كل هذه الحروب والفتن التي أشرنا إليها كانت تتطلب أموالا باهظة، ومعنى هذا أن أموال خزينة الدولة كانت تصرف في الإعداد للحروب، و لم يجد الحاكمون وسيلة لجلب المال لخزينة الدولة أسهل عليهم من إثقال كاهل الرعية بالضرائب، إذ لا يمكن أن تزدهر تجارة ولا صناعة في مثل هذا الجو الحالك، وكلما ارتفعت الضرائب كلما غلت الأسعار. [3]

ويخبرنا التنسي أنه "كان على أهل تلمسان بلاء عظيم من غلاء الأسعار، وموت الرجال، بلغ فيها الرطل من الملح دينارين، وكذلك من الزيت والعسل واللحم، وذكر بعضهم أن الدجاجة بلغت ثمانية دنانير ذهبا وكانوا يقدون خشب دورهم"[4]، واشتدت وطأة الفقر فعاش المجتمع حالة بؤس في المرحلة الأخيرة من عمر الزيانية حتى اضطر الفقراء والمساكين والضعفاء إلى أكل الكلاب والقطط. [5]

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون: التعريف بابن خلدون – ضمن ج 07 في كتاب العبر – 463-464.

[2] أبي زكرياء يحيى ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات (الجزائر: المكتبة الوطنية، 1980م)، 19/01.

[3] ابن صعد محمد ابن احمد ابن أبي الفضل: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر مناقب، تح: محمد احمد الديباجي (بيروت: دار صادر، 2001م) 09.

[4] محمد ابن عبد الله التنسي: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان – مقتطف من نظم الدر العقيان – تح: محمود بوعياد (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1985م) 142.

[5] ابن صعد: المصدر السابق، نفس الصفحة.

كما عرف المغرب الأوسط سنة (693ه/1293م) المجاعة الشديدة والوباء العظيم، فكان الناس يحملون من الموتى أربع وثلاثة واثنين على نعش.[1]

أ-3: الأوضاع الثقافية:

لا شك أن هذه الظروف السياسية والاقتصادية لم تؤثر بشكل مباشر على الحياة العقلية السائدة في المغرب الاسلامي أو تعرقل نموه المطرد بل ظل يحافظ على مكانته العلمية في أحلك الظروف[2]، كما لا ننسى أن هذه الدول جميعا قد ورثت الرصيد الحضاري والفكري للموحدين، ثم أضافت إليه جرعة علمية بفضل السياسة الجديدة التي اتبعتها هذه الدول ونظرتها إلى العلوم العقلية والنقلية[3].

فنجد مدينة تلمسان قد عانت من ويل الحروب والفتن أكثر من غيرها من دول المغرب، وعلى الرغم من ذلك فقد ازدهرت فيها العلوم والآداب ازدهارا عظيما ونفقت فيها أسواق العلم والصنائع، وضاهت أمصار الدول الإسلامية، ويعود ذلك لعاملين وهما: اهتمام الملوك بالعلم والعلماء، والعامل الثاني هو نزوح عدد كبير من أهل العلم والأدب من الأندلس.[4]

حيث كانت الأندلس تزخر بكم كبير من العلماء في تلك الفترة ويتضح لنا ذلك من خلال الملاحظة التي أدلى بها الأستاذ حسين مؤنس بين ثلاثة مصادر أحصت لنا عدد العلماء في الأندلس عبر فترات مختلفة فيقول: أحصى "ابن الفرضي" في كتابه: علماء الأندلس خلال القرون الأربع الأولى "1866 رجلا، وأحصى "ابن بشكوال" في صلته 1440 اسما من أول القرن الخامس إلى منتصف القرن السادس هجري، أما "ابن

---

[1] ابن ابي زرع الفاسي: المصدر السابق، 384.
[2] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، 319.
[3] نفسه، 226.
[4] ابن صعد: المصدر السابق، 10،11.

الأبار" فقد أورد في تكملته نحو 2500 اسم معظمهم عاش من منتصف القرن السادس هجري إلى منتصف القرن السابع هجري. [1]

هذا على الرغم من أن الأندلس الذي عرفه ابن الأبار لم يزد في المساحة عن ثلث الأندلس الذي أرخ ابن الفرضي لعلمائه، مما يدل على أن هذا الثلث الباقي كان يزخر بالعلم والعلماء.

ب- أسباب الهجرة.

بعد تدهور الأوضاع السياسية بالأندلس عرفت هذه البلاد هجرات عديد ومتواصلة بدأت مع هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب سنة(609هـ/ 1212م) بالأندلس إلى غاية سقوط غرناطة عام (897هـ/ 1492م)، وكانت هذه الهجرات نتيجة لعدة أسباب قسمناها إلى أسباب سياسية وأخرى اقتصادية واجتماعية نذكرها فيما يلي:

ب-1: الأسباب السياسية:

نتيجة لضعف السلطة المركزية، وتناحر عناصرها انقسمت الأندلس إلى عدة أطراف حيث كان "المتوكل محمد ابن هود" يسيطر على معظم قواعد الأندلس (629هـ/ 1232م) فكان سلطانه يمتد من مارقة إلى ألميرية وغرناطة وقرطبة حتى مرسية[2]، وورى ابن هود بالدعاء "للمستنصر ابن الظاهر" خليفة بغداد من العباسيين لعهده كما اسلفنا من قبل وضبط "زيان ابن مردنيش" بلنسية سنة (626هـ/1228م) وثار "محمد بن يوسف بن الأحمر" بأرجونا سنة (630ه/1232) وما كان عام (636ه/1238م) حتى سيطر على غرب الأندلس. [3]

ويحكم بعض الأمراء الموحدين اشبيلية وما حولها وكان جميع أولئك الأمراء المسلمين يحقد بعضهم على بعض ويحارب بعضهم بعضا بشدة ومضاء، فيصف لنا "لسان الدين ابن الخطيب" الحالة التي آل إليها

[1] حسين مؤنس: شيوخ العصر في االأندلس (القاهرة: دار ارساد، 1997م)، 117،118.

[2] يوسف أشباخ: تاريخ االأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر: محمد عبد الله عنان (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1996م)، 180/02.

[3] عز الدين موسى: مرجع سابق، 108.

الأندلسيين فيقول "ثم إنهم ضعفوا واختلفوا ولو شاء الله ما اختلفوا، فثارت الثور وكثرت الغوار واشتغلت للفتن نار".[1]

ونظرا لحالة الضعف والانحلال بين مسلمي الأندلس، ازداد ضغط الممالك المسيحية على الأراضي الأندلسية، أراغون من الشرق وقشتالة من الشمال والبرتغال من الغرب.[2]

وتكالب العدو خلال ذلك على الجزيرة من كل جانب واستولى طواغيت الكفر على أمصارها وقواعدها، فملك "ابن أذفونش" قرطبة سنة (636هـ/1238م) مدينة جيان سنة (644هـ/1246م) واشبيلية سنة (646هـ/1248م) وبلنسية سنة (637هـ/1239م) واستولى "فردناند" ملك قشتالة على عدد كبير من الحصون وأخذ يعيث في البسائط أيما عيث، ويقتل ويأسر ألوفا من السكان.[3]

ونتيجة لذلك هاجر الكثير من الأندلسيين تلك المدن هروبا من اضطهاد النصارى إلى المدن التي كانت لا تزال بأيدي المسلمين سيما غرناطة، هذه المملكة التي كانت تأوي الأندلسيين المهاجرين من القواعد التي سقطت، ولهذا فقد ازدحم السكان في هذه الرقعة الواقعة بين الواد الكبير والبحر.[4]

في حين فضل الكثير من الأندلسيين عدم البقاء بالأندلس واللجوء إلى المغرب الإسلامي ومشرقه نظرا لتوقعهم بعدم صمود غرناطة، خاصة بعد انهزام بني مرين وبني الأحمر في وقعة طريف ضد المسيحيين (قشتالة، الأراجون، البرتغال) والتي انتهت بهزيمة كبرى للمسلمين سنة (741هـ/ 1340م) واستشهد فيها عدد كبير من المسلمين.[5]

الأمر الذي شجع الأندلسيين على ترك بلادهم والهجرة نحو أماكن آمنة، واستمر الأمر بالجزيرة على هذه الحالة مدة والمسلمون لا يزدادون إلا ضعفا، والعدو قوة وشدة حتى استولى على الجزيرة بأسرها، وكان

---

[1] أعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تح: ليفي بروفنساي (بيروت: دار المكشوف، 1956م، 270).

[2] عز الدين موسى: المرجع السابق، 107.

[3] يوف اشباخ: المرجع السابق، 180.

[4] القلصادي: مصدر سابق، 17.

[5] عبد الرحمان بن خلدون: العبر، مصدر سابق،07/ 310.311.

استلاءه على حمراء غرناطة ثاني ربيع النبوي من عام (897هـ/ 1492م) فاضطر المسلمون إلى مغادرة الأندلس وهجرتها قسرا.[1]

ب-2: الأسباب الاقتصادية والاجتماعية:

عاش مسلموا الأندلس حياة مزرية ذليلة بسبب النظم وثقل أعباء الضرائب التي أجبرهم الحكام المسيحيين على دفعها، فكانت هناك ضريبة يدفعونها عن محلاتهم السكنية في (ق 08-09ه/14-15م)[2]ودام الصراع قائما بين المسلمين والمسيحيين بالأندلس "... ومازال المسلمون تنقص أعدادهم والنصارى تتوارد امدادهم إلى أن نفذت الأقوات واستولى بالجوع وضعفت القوى وأكلت الجلود...". [3]

و نتيجة للهجرات المتوالية إلى غرناطة من المدن التي سقطت في أيدي الاسبان أدت إلى ازدحامها بالسكان، فارتفعت الأسعار ارتفاعا مذهلا لم يستطع الكثير من السكان تحملها مما دفعهم إلى الهجرة وترك غرناطة، و لم يكتف الإسبان بإبادة المسلمين وتشريدهم بل لم تنج منهم حتى المكتبات وخزائن الكتب من الحرق والإتلاف[4]، وتحولت المساجد إلى كنائس، ونزح كثير ممن حافظوا على دينهم إلى المناطق الريفية، وأصبحوا عمالا زراعيين لدى الملاك المسيحيين حتى أصبحوا نوعا من الرق، وفرض البابا على الملك الاسباني أن يحول المسلمين إلى النصرانية. [5]

ج – مراحل الهجرة:

بعد الدراسة التي تم القيام بها نستنتج أن الهجرة الأندلسية نحو تلمسان مرت بمرحلتين أساسيتين وهما:

---

[1] شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني: أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقى وآخران (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939م) 65/01.

[2] عبد الواحد ذنون طه: دراسات أندلسية (ليبيا: المدار الاسلامي، 2004م)، 230.

[3] لسان الدين: أعمال الأعلام، مصدر سابق، 273.

[4] عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، 318.

[5] أسعد حومد: مرجع سابق، 200.

ج–1: المرحلة الأولى: قبل سقوط غرناطة.

أي قبل سنة (897هـ/1492م) وفي هذه المرحلة عرفت الأندلس هجرات معدودة ومتميزة حيث أن أغلب المهاجرين كانوا من الطبقة العاملة الذي اضطروا إلى مغادرة بلادهم بحثا عن مستقر جديد يوفر لهم الأمن والدعم المادي من أجل مواصلة عطائهم العلمي، وكانت هجراتهم تلك نحو مختلف مدن بلاد المغرب، ومنها تلمسان التي صارت لهؤلاء العلماء خاصة خلال القرنين السادس والسابع هجري. [1]

وفي هذه الفترة عرفت دولة بني زيان نوعا من الاستقرار والتطور النسبي في مجالات عدة مما سمح لها باستقطاب هذه الفئات من الجالية الأندلسية وقد اشتهرت عدة عائلات يذكرها لنا ابن خلدون منها: اسرة "بني وضاح" التي رحلت من شرق الأندلس وكانت لها مكانة كبيرة لدى السلطان "يغمراسن بن زيان"، وأسرة "بني ملاح" القادمة من قرطبة والتي اشتهرت بالعلم والأدب[2]، ولا ننسى أسرة بنوا خلدون أنفسهم الذين قرروا مغادرة البلاد سنة (630هـ/1232م) بعدما عجز المسلمون بالأندلس عن دفع خطر الإسبان الذين استولوا على معظم الجزيرة[3]، فأحس المسلمون بأن مصير بلادهم الزوال فقرروا الهجرة بمحض إرادتهم حاملين معهم عقلية انهزامية يصورها أحسن تصوير الشاعر الأندلسي "عبد الله بن فرج اليحصبي" المشهور بابن العسال في الأبيات التالية عند سقوط مدينة طليطلة في يد الإسبان: [4]

شدوا رواحلكم يا أهل أندلس — فما المقــــــام بها إلا من الغلــط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى — ثوب الجزيرة منســولا من الوســط

من جاور الشر لا يأمن بوائقه — كيف الحياة مع الحيــات في سفــط؟

---

[1] عبد القار بوباية: اسهام العلماء االأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال (ق 7هـ/ 13م) مجلة عصور (الجزائر: جامعة وهران معهد البحث التاريخي، 2011م) ع159/2.

[2] العبر، مصدر سابق، 93/7.

[3] يحيى بن خلدون: مصدر سابق، 08.

[4] محمد رزوق: دراسات في تاريخ المغرب (الدار البيضاء، دار إفريقيا الشرق، 1991م)، 26.

فأخذ الأندلسيون يتسللون فرادى وجماعات إلى المغرب الاسلامي، وكان حظ المغرب الأوسط منهم كبيرا فقد وفد عدد وافر على تلمسان.

ولعل أكبر جالية أندلسية نزلت بتلمسان هي التي كانت في عهدي الأمرين "عبد الواحد بن أبي عبد الله" (814-827هـ/ 1411-1424م) وخلفه "أبي العباس أحمد الزياني" (834-862هـ/ 1431-1462م) وقد استقبلهم هذا الأخير بحفاوة[1]، ووجههم حسب طبقاتهم وحرفهم، فالعلماء والوجهاء وسراة القوم أنزلهم عاصمته مدينة تلمسان وأنزل معهم التجار والحرفيين وأصحاب رؤوس الأموال في درب خاص بهم عرف بدرب الأندلسيين.[2]

ج-2: المرحلة الثانية: بعد سقوط غرناطة.

بعد أن سقطت مدن الأندلس الواحدة تلوى الأخرى في يد الإسبان، بقيت مدينة غرناطة آخر معاقل المسلمين في ظل حكم بني الأحمر، لكنها كانت مرغمة على دفع جزية سنوية جائرة للإسبان، يحصلها ملك (قشتالة وليون) تقدر بألفي دينار ذهبي وستة عشر ألف أسير مسيحي كل سنة وما يعادله عددا من المغاربة كرقيق، يسلم جميعها لمدينة قرطبة. [3]

وزاد الأمر تأزما بعد أن تم الزواج بين (فرديناند ملك أراجون وبين إيزابيلا وارثة عرش قشتالة) سنة (1469م) وقويت اثرهما جبهة المقاومة الإسبانية فلم تهل سنة (896هـ/ 1491م) حتى كان الملك فرديناند وقرينته بمروج غرناطة بجيوشهما المزودة بالمدافع والذخائر الحربية الهائبة، تؤديها بالمال والسلاح والرجال المسيحية كلها إلى أوربا. [4]

---

[1] عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، 176/01.

[2] مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية (الجزائر: دار الحضارة، 2007م) 226/03.

[3] واشنطن ايرغنغ: أخبار سقوط غرناطة، تر: هيلاني يحيى نصري (لندن- بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2000م) 69.

[4] محمد الطمار: تلمسان عبر العصور، مرجع سابق، 219.

وبعد أن حاصروها سبعة أشهر، فنيت خلالها أزواد المحاصرين من العرب وفنيت خيلهم، ولما طال الحصار وتأكد السلطان "أبو عبد الله محمد" آخر سلاطين بني نصر أنه الدفاع عن المدينة، أرسل في طلب الصلح مقابل شروط منها:

- من شاء البقاء أقام في ظل الأمان مكرما ومن أراد الخروج إلى بر العدوة أنزل بأي بلاد شاء منها[1]؛
- عدم المساس بالمسلمين والتعرض لشريعتهم؛
- تسليم غرناطة في الثاني من ربيع الأول سنة (897هـ الموافق للثاني من يناير 1492م) وهاجر السلطان أبو عبد الله إلى المغرب.[2]

و لم يمض الكثير على تسلم النصارى لغرناطة حتى باشروا في نقض الوعود وأول ما فعله الملكان حين دخولهما المدينة هو تقديمهما إلى المسجد الجامع وحولاه إلى كاتدرائية فورا، ودخلاه للصلاة فيه.[3]

وأفقرت غرناطة من السكان بما أصدره الملوك الكاثوليك من الأوامر فقد أنشأ الإسبان محاكم تفتيش التي كانت تفرض التنصير على مسلمي الأندلس أو الموت.[4]

ولما اشتدت وطأة ديوان التفتيش الديني، ظل الحكام والرهبان يستأصلون شأفة العرب حتى لم يبقوا منها باقية، وكانت لتلمسان مع الأندلس علاقات ودية وأخوية مبنية على التعاون المشترك فاستقبلت أفواجا من الأندلسيين الذي فروا بدينهم ويمموا شطرها.[5]

---

[1] المقري: أزهار الرياض، مصدر سابق، 67.
[2] المقري: نفح الطيب، مصدر سابق، 410/01-411.
[3] واشنطن: مرجع سابق، 409.
[4] كرد علي: مرجع سابق، 113.
[5] حاج عبد القادر يخلف: العلاقات الخارجية للدولة الزيانية، مرجع سابق، 155.

ثانيا: عوامل استقرار الجالية الأندلسية بتلمسان.

تضافرت عدة عوامل وأسباب أدت إلى استقطاب الجالية الأندلسية واستقرارها بتلمسان نذكر منها العوامل التالية:

أ- الوحدة المذهبية (المذهب المالكي):

ما إن استحكم الإسلام بشبه الجزيرة العربية حتى أخذ في الإنتشار بمشارق الأرض ومغاربها وقد شمل هذا الانتشار العدوتين المغربية والأندلسية في الجهة الغربية، وذلك على يد جملة من القادة الفاتحين ونذكر منهم: معاوية بن حديج، عقبة بن نافع، قيس بن زهير البلوي، حسن بن النعمان، موسى بن نصير، طارق بن زياد وغيرهم من الشخصيات المعروفة في تاريخ الفتوحات الإسلامية.[1]

وما يجب الإشارة إليه هو أن هؤلاء الفاتحين الأوائل قد حملوا لنا الإسلام ببساطته وسماحته، هذا ما عززه في عقول المغاربة بعيدا عن النعرات المذهبية (الشيعة والخوارج) التي ظهرت في عهدي الخليفتين "عثمان بن عفان" و "علي بن أبي طالب" رضي الله عنهما، والتي قويت وانتشرت بعد وفاتهما.

كما ظهر أربعة مذاهب سنية مشهورة في الفقه الإسلامي، وهي المذهب الحنفي، المذهب المالكي، المذهب الشافعي والمذهب الحنبلي، والذي يهمنا هنا هو المذهب المالكي لأنه المذهب الذي اختص به أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل.[2]

والمذهب المالكي نسبة لصاحبه "مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر" المولود سنة (93هـ/ 712م) والمتوفى سنة (176هـ/ 795م) وهو إمام دار الهجرة، وهي المدينة المنورة ولكونه درس وعاش بها، كان جامعا للحديث الشريف وحافظا له حتى لقب بأمير المؤمنين في علم الحديث.[3]

---

[1] ابن خلدون: العبر، 128/06-129.

[2] ابن خلدون: مقدمة (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م) 480.

[3] إبراهيم بن نور الدين بن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن محيي الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1996م) 56-57.

ويعود سبب تبني المغاربة والأندلسيين المذهب المالكي إلى رحلات الحج والرحلات العلمية التي كان يقوم بها أهل المغرب والأندلس إلى المشرق، حيث كانوا في رحلتهم ينزلون بالمدينة المنورة سواء لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، لما في ذلك من فضل، أو طلب العلم والأخذ عن شيخها وإمامها "مالك" الذي كثرت إليه الرحلة في ذلك العصر.[1]

كما أن أهل المغرب وجدوا هذا المذهب يتماشى مع عقليتهم وطبيعتهم، لوضوحه وبساطته أي كما عرفوه من قبل الفاتحين الأوائل كما أشرنا له سابقا، ونظرا لكون أهل المغرب الإسلامي بدويون بطبيعتهم فكانوا أميل لأهل الحجاز للتشابه بينهم في البداوة و لم يقلدوا أهل العراق الذين كانت تغلب عليهم الحضارة.[2]

ويقول ابن خلدون: "أن من ادخل هذا المذهب إلى المغرب الإسلامي هم فقهاء أجلاء مثل "أسد بن الفرات"[3]، و"سحنون"[4] صاحب "المدونة"[5]، أما كتاب الموطأ والذي مكث الإمام مالك في تأليفه حوالي أربعين سنة وتحرى فيه القول من أهل الحجاز ويشتمل على أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، فلاقى اهتمام واعتناء علماء الإسلام بصفة عامة وعلماء المغرب بصفة خاصة.[6]

---

[1] عبد القادر بوحسون: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط واالأندلس خلال العهد الزياني (633-962هـ/ 1235-1554م) مذكرة لنيل الماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي (تلمسان: جامعة أبي بكر بلقايد، 2008م) 116.

[2] ابن خلدون: مقدمة، مصدر سابق، 481.

[3] اسد ابن فرات: هو عبد الله نولي بن سليم، خراساني الأصل، كانت ولادته سنة (145هـ/763م) لحق بالإمام وسمع منه الموطأ، تولى قيادة الجيش المتوجه لصقلية من طرف زيادة الله بن ابراهيم الاإلبي، توفي سنة (214هـ- 830م) أنظر أبو العرب التميمي: طبقات علماء افريقية دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت، 81-83.

[4] سحنون: هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، شامي الأصل، خرج لطلب العلم سنة 188هـ/803م، عمل على تفريق الصفرية والإباضية وطردهم من المسد الجمع القيرواني، تولى القضاء سنة 234هـ/848م، وعمره 74سنة، توفي سنة 240هـ/ 854م، ويعد كتابع المدونة من أهم الكتب في الفقه المالكي، أنظر أبو العرب التميمي: مصدر سابق، 101-104.

[5] ابن خلدون: نفسه، نفس الصفحة.

[6] عبد القادر بوحسون: نفسه، 117.

أم في الأندلس فقد كان أهلها على رأي "أبي عمروا الأوزاعي"[1]، إمام أهل الشام منذ الفتح الإسلامي، إلى أن رحل إلى المشرق جماعة من أبناء الأندلس من أجل الحج وطلب العلم فإلتقوا بالإمام مالك وسمعوا عنه وأخذوا عنه كتاب الموطأ قبل الانتهاء من كتابته، فلما رجعوا إلى بلادهم فضل وسعة علمه وجلالة قدره.[2]

ومن هنا أمر السلطان "هشام ابن عبد الرحمن الداخل" بترك الذهب الأوزاعي والأخذ بالمذهب المالكي وهناك من قال أنه من أسباب تبني "هشام بن عبد الرحمان" للمذهب المالكي هو أن الإمام مالك سأل بعض الأندلسيين عن سيرة سلطان الأندلس وقالوا له: "يأكل الشعير ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله" فقال الإمام مالك "ليت أن الله تعالى زين موسمنا بمثل هذا".[3]

ومن العلماء الذين حملوا المذهب المالكي إلى الأندلس: "أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمان القرطبي" المعروف "بشبطون: (ت193هـ/ 909م) الذي سمع من الإمام مالك وهو من أدخل الموطأ إلى الأندلس وكان مقربا من مجلس السلطان "هشام بن عبد الرحمان"، كذلك "أبو محمد الغازي بن قيس الأموي القرطبي" (ت198هـ/914م) و "أبو عبد الله بن بشير بن شرحبييل" (ت198هـ/914م).[4]

إذن لقي المذهب المالكي من ظهوره انتشارا واسعا في بلاد المغرب والأندلس و لم يمض وقت طويل حتى أصبح المذهب الرسمي للدول في الأندلس، أما في المغرب فقد على صوته بحيث حجم أو كاد يمحوا وجود المذاهب الأخرى فيه.[5]

---

[1] الأوزاعي: هو أبو عمروا عبد الرحمان الأوزاعي نسبة إلى اوزاع وهي إحدى قرى دمشق، كان إمام الشام كثير العلم والفقه وحافظا للحديث، ولد سنة (88هـ/707م) قافيه الإمام النووي الأئمة في الحديث أربعة: الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري وحماد بن زيد توفي سنة (157هـ/773م)، أنظر ابن سعد: الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر، 1958م) 488/07.

[2] مصطفى الهروس: المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية ق 03هـ (المغرب: وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية، 1997م)، 37.

[3] المقري : نفح الطيب، مصدر سابق، 337/01.

[4] مصطفى الهروس: مرجع سابق، 38، 39.

[5] علياء هاشم ذنون محمد المشهداني: فقهاء المالكية دراسة في علاقتهم العلمية ف الأندلس والمغرب حتى منتصف ق 06هـ/12م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي، جامعة الموصل، 2003م، 02.

وازدهر المذهب المالكي في فترة المرابطين إلى أن تلى ذلك الزوبعة العقائدية التي أحدثها "المهدي بن تومرت" وخلفاءه من بعده، وتحولت الدراسات الإسلامية من الجانب العلمي والدنيوي في الشريعة إلى علم يقوم على دراسة الشريعة واشتقاقها من الكتاب والسنة.[1]

وبعد سقوط الدولة الموحدية تغير الأمر كليا فقد استعاد فقهاء المالكية مذهبهم وانتصر المذهب على المذهب العقادي الذي أراد فرضه مؤسس الدولة الموحدية على سكان المغرب.[2] ففي تلمسان أقر ملوك بني زيان المذهب المالكي وأمروا بتدريس كتب المذهب إلى جانب العلم النظري للأصول (للقرآن والسنة) استجابة لمطلب الفقهاء ونضالهم الطويل في عهد الموحدين، فكان لهذا الموقف الرسمي أثره البالغ في نهضة الفقه المالكي بتلمسان[3] وهذا ما يشهد به البكري في قوله: "و لم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله".[4]

وعموما فبعد سقوط الدولة الموحدية ازدهرت الحركة الفكرية والفقهية على المذهب المالكي في حواضر الدول التي قامت على أنقاض دولة الموحدين كفاس عاصمة بني مرين، وتونس عاصمة الحفصيين وكذلك غرناطة حاضرة بني الأحمر[5]، وبهذا ظل المذهب المالكي هو السائد والمعمول به في الأندلس والمغرب (تلمسان) مما انعكس إيجابا على العلاقات بن العدوتين حتى في ظل الظروف الحالكة التي مرت به الأندلس في فترة الحروب الصليبية فسمح هذا التوافق المذهبي والعاطفة الدينية بلجوء أهل الأندلس إلى إخوانهم في المغرب عموما وتلمسان خصوصا واستقراهم بها.

---

[1] جمعة شيخة: علماء تلمسان من خلال المصادر الشرقية– الديباج لأبن فرحون وتوشيحه للقرافي نموذجا– مجلة عصور (الجزائر: جامعة وهران، مختبر البحث التاريخي، 2011)، ع75/02.

[2] محمود بوعياد: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في ق 09هـــ/15م (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1982)، 48.

[3] عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، 376/02، 377.

[4] أبي عبيدة البكري: المغرف في ذكر بلاد افريقيا والمغرب– جزء من المسالك والممالك– (القاهرة: دار الكتب الإسلامية، د ت) 77.

[5] جمعة شيخة: مرجع سابق، 75.

ب- الموقع الجغرافي والتشابه الإقليمي:

تبنى الموقع الجغرافي دورا هاما في استقرار الجالية الأندلسية بتلمسان، إذ أن هذه المدينة تقع في أقصى غرب المغرب الأوسط مع حدود المغرب الأقصى من قارة افريقيا ويحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، اما الأندلس تقع في الجنوب الغربي للقارة الأوربية ويحدها من الجنوب البحر الأبيض المتوسط هي الأخرى، ولا يفصل بين الأندلس والمغرب سوى اثنتى عشرة ميل، حتى أن أهل الجانبين يرى بعضهم البعض، ويتبينون زروعهم على حد تعبير "ياقوت الحموي".[1]

ونظرا لقرب المسافة بين القطرين التي تبلغ حوالي 12كلم فقط، أطلق على المضيق الذي يفصل بينهما اسم المجاز أو الزقاق وهذا دليل على ضيق المسافة والتي يمكن عبورها في وقت قصير. وهذا ما شجع جيوش الفتح على العبور إلى الأندلس، ونجد أن موسى بن نصر كتب للخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م) لما علم بتخوفه من عبور المسلمين البحر إلى الأندلس قال له: "إنه ليس ببحر وإنما هو خليج يصف صفة ما خلفه للناظر".[2]

بالإضافة إلى أن هناك تشابه كبير بين إقليم تلمسان والأندلس وهذا ما شجع أهل الأندلس بالهجرة إليها والاستقرار بها.[3] فنجد أن "لسان الدين بن الخطيب" كان معجبا بمدينة تلمسان واستطاب المقام بها فوصفها بشعره قائلا:

حيا تلمســـــان الحيا فربوعهـــا	تصدف يجود بدورها المكنون
ما شئت من فضل عميم إن سقى	أروى ومـــن ليس بالمنــــون
أو شئت من دين إذا قدح الهدى	اورى ودنيا لم تكن بالـــدون

[1]معجم البلدان (بيروت: دار صادر، 1988م) 262/01.

[2]عبد القادر بوحسون: مرجع سابق، 97.

[3] عبد الحميد حاجيات: تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط، مجلة عصور (الجزائر: جامعة وهران، مختبر البحث التاريخي، صيف 2011م) ع 42/02.

ورد النسيم لها بنشر حديثـــة تقد أزهرت أفنانـــــها بفنـــــون

وإذا حبيبـــة أم يحـــيى أنجبت فلها الشفـــوف على عيون العـــين[1]

ولا ننسى الخيرات التي كانت تتمتع بها مدينة تلمسان، فالأراضي المتواجدة بين شمال المدينة والبحر غنية بالقمح والمراعي، تنتج فواكه كثيرة، آهلة بالسكان وعيشتهم مشرفة يتعاملون معاملة حسنة وفق عادات البلاد.[2]

ويصفها لنا القلصادي الذي زارها في القرن التاسع هجري فيقول: "ثم توجهنا إلى المقصود بالذات المخصوصة بأكمل الصفات تلمسان، يا لها من شان، ذات المحاسن الفائقة والأنهار الرائقة والأشجار الباسقة والأثمار المحدقة والناس الخذلاء و الأكياس، المخصوصين بكرم الطباع والأنفاس ولا ينكر وجود الفاذ من جميع الأجناس".[3]

كما تعتبر مدينة تلمسان من أعرق مدن المغرب الأوسط وتقع في مفترق طريقين: الأول يربط بين تونس شرقا و وجدة غربا، وهو أحد الطرق البرية للحج، والثاني هو الطريق الرابط بين ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا (مرفأ حنين ورشقون) والصحراء جنوبا (مدينتا تيزل وسجلماسة) وهو طريق تجاري (تجارة الذهب والعاج والعبيد).[4]

وعلى العموم كانت مدينة تلمسان تمتاز بعدة صفات طبيعية أهلتها أن تكون الموطن الثاني للاجئين الأندلسيين بالإضافة إلى مقوماتها الحضارية التي تسمح بهم بمزاولة نشاطاتهم في شتى المجالات.

---

[1] عبد الحميد حاجيات: تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط، مجلة عصور (الجزائر: جامعة وهران، مختبر البحث التاريخي، صيف 2011م) ع 42/02.

[2] مارمول كربخال: مرجع سابق، 291/02.

[3] القلصادي: مصدر سابق، 95.

[4] جامعة شيخة: مرجع سابق، 73.

ج- المساعدات الزيانية للأندلسيين:

من جملة العوامل المساعدة على استقطاب واستقرار الجالية الأندلسية بتلمسان هي المساعدات التي قدمها بنو زيان وسلاطينهم لهذه الجالية والأندلس في حد ذاتها. وتتمثل طبيعة هذه المساعدات في الجانب المادي بالدرجة الأولى سواء عن طريق تقديم الأموال والغذاء او الايواء بمدينة تلمسان واحوازها بالدولة الزيانية. وتأتي في الدرجة الثانية المساعدات المعنوية، اذ أن الأندلسيين بعدما فقدوا الأندلس تأثرت نفسيتهم الى درجة كبيرة، وحملوا معهم عقلية انهزامية انعكست بالسلب على نشاطاتهم وحياتهم.

لكن بقدوم هذه الجالية الأندلسية الى تلمسان عمل سلاطين بني زيان على احياء نفوس الأندلسيين من جديد، وتحسيسهم بانهم في بلدهم الثاني، وذلك عن طريق ادماجهم في المجتمع الزياني، ومنحهم مراكز ومناصب مرموقة في الدواوين الحكومية وكذلك منحهم الاراضي الزراعية وغيرها من الارزاق، وسيتضح لنا ذلك من خلال النصوص التي تمت معالجتها في اطار هذا البحث.

بداية مع السلطان التلمساني "يغمراسن"[1](633-681هـ/1235-1282م) الذي اعطي أهمية كبيرة لموضوع المهاجرين الأندلسيين، وأن الظهير الذي أصدره في شانهم يؤكد على العناية الكاملة بهم، ويكرم نبهائهم واعيانهم غاية الاكرام، وبين حقهم في السكن وتملك الأراضي الزراعية المناسبة لنشاطاتهم في ارضهم المفقودة بالأندلس، حتى يشعروا بالأمن والتسلية عما فقدوه في وطنهم، ويتكئ هذا الظهير على ما

[1] هو ابي يحي يغمراسن بن زيان، مولود سنة(605ه، 1208م) وكان كريما شجاعا فاضلا حليما متواضعا، ذا سؤدد وعفاف ومجد وعلاء، يؤثر الصالحين والعلماء ويجالسهم كثيرا، بويع يوم وفاة أخيه "ابي عزة زجدان" سنة(633ه/ 1235م). وسؤل منه القول بالشرف واثبات نسبه اليه فقال:ان كان المراد شرف الدنيا فهو ما نحن فيه وان كان به قصد شرف الاخر فهو عند الله سبحانه. وهو اول من خلط زي البداوة بأبهة الملك ، فأعلى المنار ومهد الخلافة واسمع اهل المشارق والمغارب صوت الدعوة، انظر يحي بن خلدون:البغية204/01-205.

لحق بالأندلسيين من مصائب في عقيدتهم وفي أموالهم و أوطانهم، وينص الخطاب الرسمي في الظهير على أن "يغمراسن" بوأهم من اهتمامه الكريم وإنعامه العميم جنات الفافا[1].

كما اشتهر اعتناء السلطان "يغمراسن" بالعلم وأهله، فوفد عليه من الأندلس خاتمة اهل الآداب، المبرز في عصره على سائر الكتاب "أبو بكر محمد بن عبد الله بن داوود بن خطاب" فأحسن نزله ومثواه وقربه من بساط العز وأدناه، وجعله صاحب القلم الأعلى[2]، وهذا ما أغرى العديد من العلماء الأندلسيين بالقدوم نحو تلمسان لتولي المناصب الحكومية.

ونتيجة لما سبق أصبحت تلمسان مقصد المهاجرين الأندلسيين خاصة بعد انكماش دولة بني الأحمر بغرناطة، وإتباع الملوك الزيانيين سياسة حسن الجوار إزاء حكام الأندلس وهذا ما شجع السلطان النصري "أبو عبد الله محمد الخامس" ملك غرناطة على إرسال وفد الى تلمسان سنة(763ه/1361م)بطلب العون والمدد من السلطان الزياني "ابي حمو موسى الثاني "[3](760-791هـ/1359-1389م) وكان على رأس هذا الوفد الكاتب "إبراهيم بن الحاج" الذي نجح في مهمته وتحصل من السلطان الزياني على خمسين الف قدح من الزرع، وثلاثة آلاف قطعة من الذهب لكراء السفن وشحنها الى الأندلس[4].

وقد كان هذا السلطان الزياني يتبرع كل سنة على اهل الأندلس بالمال والخيل والزرع ويرى ذلك من الجهاد في سبيل الله تحريرا لأرض الأندلس، وعرفانا بمجهوداته شكره لسان الدين الخطيب الوزير الشهير في قوله:

---

[1] – عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق 175/01.

[2] – التنسي: تاريخ بني زيان، مصدر سابق،137.

[3] – أبو حمو موسى بن ابي يعقوب يوسف بن عبد الرحمان ابن يحي بن يغمراسن، ولد باالأندلس بغرناطة سنة (723ه/1323م)و في تلك السنة عاد به ابوه الى تلمسان، ونشأ ذكيا فطنا أديبا، شهد زوال دولتهم الأولى في عهد أبي تاشفين سنة(737ه/1337م)، قام بتخليص الجدولة الزيانية من الاحتلال المريني واحيائها من جديد سنة(760ه/1361م) انظر :حاجيات أبو حمو موسى الزياني،69 .الاعلام للزركلي، 331/07.

[4] – ناصر الدين سعيدوني: التجربة االأندلسية مرجع سابق، 129.

لقد زار الجزيرة منك بحـــر يمد فليس تعرف منه جـــزرا

اعدن لها بعهدك مهد موسى سميك فهي تتلو منك ذكـــرا

اقمت جدارها وافدت كنزا ولو شئـــت اخذت عليه اجرا [1]

من خلال ما تقدم ذكره يتضح لنا أن الزيانيين كانوا يشعرون بالآلام التي يعاني منها إخوانهم الأندلسيون جراء الضغط الصليبي، ولذا قاموا بمساعدتهم، فأمدوهم بالمال والأسلحة وفتحوا ممتلكاتهم لمن أراد منهم اللجوء.

و لم تتوقف هذه المساعدات عند هذين السلطانين فقط بل استمرت الى غاية القرن 09هـــ/15م .

وسنكتشف ذلك من خلال نص وجدناه في مخطوط لإحدى الشخصيات التي عاشت الحدث وعاصرت تلك الفترة، ألا و هو " احمد بن عبد الرحمن (الحفيد) " و يحدثنا في كتابه على فضل سلطان تلمسان ابي زيان فيقول: " ...ظهرت له في الفضل عجائب تدل على دينه، وعلو همته، وقوة يقينه، فمنها أن جفنا[2] ورد من أرض النصارى وفيه جماعة من الأندلسيين هاجروا الى أرض الإسلام بأهليهم وأولادهم، فلما وصلوا وهران وأرسو فيها، دخلت عليهم أجفان الروم، فأخذوا الجفن وأسروا من فيه من المسلمين ...وطلب الروم فدائهم بوهران ...ثم دخلوا بهم مستغانم وبرزوا بهم عليها فاستغنم الأمير أبو زيان أجرهم وفك أسرهم ...وأنقضهم من عداة الله وأعدائهم ...وأخرج من ماله ثمان ماية دينار من الذهب العين، فبذلها في ذات الله

---

[1] – محمد الطمار : الروابط الثقافية، مرجع سابق، 221، 222 .

[2] – جفنة : من أنواع السفن المعروفة عند العرب المسلمين، استعملوها لنقل البضائع والركاب، وهي اشبه بالقصعة معروفة في الامارات الإيطالية باسم: ROUNDSHIPS . أي السفن المستديرة تجمع على صيغة اجفان . انظر : مصطفى عبد الكريم الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية (بيروت : مؤسسة الرسالة، 1996 م) 124، 125 .

من غير من ...ثم انزلهم وأحسن منزلهم واكرم نزلهم، وأجرا لهم جرايات يتعيشون بها . فضفرت نفوسهم من الهجرة الإسلامية ..." [1]

وعموما كانت علاقة بني زيان مع مسلمي الأندلس علاقة أخوية متينة فكانوا يستقبلون الذين يلجؤون إليهم، وييسرون لهم سبل العيش والحياة الكريمة وهذا ما ساهم في هجرة الأندلسيين نحو تلمسان والاستقرار.

[1] – احمد بن عبد الرحمن الحفيد (ت ق 9 ه/15م) : مناقب ابي عبد الله الشريف العلوي وولديه (أبو عبد الله الفريق واحمد بن عبد الرحمن، مخطوط، نسخة مصورة، مكتبة الأستاذ بونابي الطاهر، ورقة 147ظ .

الفصل الثاني

أولا: في مجال العلوم والمعارف:

أشرنا فيما سبق أن في مقدمة من هاجر بلاد الأندلس نحو تلمسان هم من العلماء و المثقفين، و السؤال الذي يطرح نفسه: والسؤال الذي يطرح نفسه: هل استطاعت هذه الفئة العالمة و المثقفة أن تستمر في عطائها الفكري، وتؤثر في الحياة العلمية بتلمسان؟ وفيما تتمثل العلوم التي أثرت فيها؟

أ- العلوم الشرعية:

ارتأينا أن نباشر بالتأثير على العلوم الشرعية أولا، وهذا الاختيار لم يكن اعتباطيا بل لاعتبار وجيه، وهو أننا وجدنا أغلب العلماء الذين أثروا في الحياة العلمية بتلمسان هم فئة علماء الدين وتعود كثرة هذه الفئة إلى عاملين مهمين وهما:

1- أن طالب العلم أول ما يتلقاه منذ حداثة سنه هي العلوم الشرعية، وهذا أمر متعارف عليه عند كافة المسلمين في المشرق وفي المغرب الإسلامي.

2- أما السبب الثاني فهو تهافت العلماء على الفقه لأنه كان من العلوم التي توصل صاحبها إلى الارتقاء في المناصب العلمية، وينال بها الخطط السنية الرفيعة[1]، إضافة إلى أن الفقيه كان يحظى بمكانة مرموقة في المجتمع.

وقد وفد على مدينة تلمسان الكثير من علماء الدين الأندلسيين المختصين في علم الحديث[2] والفقه[3] والتصوف[1]، فمنهم من آثر نشاط التعليم والتدريس في المساجد والزوايا ومنهم من تقلد مناصب حكومية

---

[1] محمد بوشريط: الشريف التلمساني واسهاماته الثقافية، مجلة عصور (الجزائر: جامعة وهران، مختبر البحث التاريخي، 2001م)، عدد 127/02.

[2] علم الحديث وهو حفظ ما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، من قول أو فعل أو تقرير، وما نقل عن أصحابه، وقد إهتم المسلمون بعلم الحديث إهتماما كبيرا، لما له من أهمية في حياتهم الخاصة والعامة لأنه يعد المصدر الثاني للتشريع، وبه يتضح أحكام القرآن وتفسيره، أنظر: عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، 440/02.

[3] عرف ابن خلدون الفقه بقوله: "هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة وهي متلقا ضمن الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الادلة قيل لها فقه". المقدمة، ص 476، والفقه يتناول جميع المسائل التي تواجه الإنسان في حياته الشخصية والدينية والاقتصادية وفي الجرائم والكبائر والصغائر.

كالقضاء والحسبة إلى غير ذلك، وبتتبعنا لكتب التراجم والطبقات تمكنا من استخراج أسماء هـؤلاء العلماء الأندلسيين الذين ساهموا في الحياة العلمية بتلمسان غير أن هذه المصادر لا تمدنا إلا بالنزر اليسير حول حياتهم وأعمالهم، ومع ذلك يمكن ان نستمد من تلك المعطيات القليلة أبرز الشخصيات التي أثرت في الحياة الدينية والعلوم الشرعية بالحضارة الزيانية ونذكر منهم:

* أبو مدين شعيب (ت594هـ/1198م): هو شخصية صوفية مشهورة توسعت في ذكر مناقبه كتب التراجم، لكننا سنقتصر على ترجمة يحي بن خلدون له لأنها تمثل رؤيا أندلسية لشخصية أندلسية، فقد قال عنه: "الشيخ الصالح قطب العارفين وشيخ المشايخ أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري، منشؤه قطنيانة من قرى إشبيلية، وأجاز البحر إلى المغرب... و استوطن بجاية فاشتهر خبره و علا في مقام الولاية صيته... فلما بلغ تلمسان أعجبته خارجها قرية، فسأل عن اسمها فقيل: العباد[2] فقال أي موضع هو للرقاد، فمرض يومئذ ومات، ودفن هناك".[3]

وذاع صيت "أبو مدين شعيب" في تلمسان وقد كثر أتباعه في المغرب الأوسط خلال القرنين (6 - 7هـ/12-13م)، وقد حدث "التادلي" وغيره من المعتنين بأخباره أن سيدي أبي مدين خرج على يده ألف شيخ من أولياء الله، ظهرت لهم الكرامات وعرفوا بإجابة الدعوات.[4]

---

[1] التصوف "علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله العكوف عن العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه". أنظر: ابن خلدون، المقدمة، ص 514.

[2] العباد: مدينة صغيرة شبه ريف، تقع في الجبل على بعد نحو ميل جنوب تلمسان، وهي كثيرة الإزدهار وافرة السكان والصناع، ومعظمهم من الصياغين وبها دفن الولي الكبير ذو الصيت الشهير وهو سيدي مدين، يوجد ضريحه في مسجد يصل الزائر إليه بعد نزول سلم من عدة درجات، ويعظم أهل تلمسان والبلاد المجاورة لهذا الولي كثيرا ويستغيثون به ويتصدقون عنده كثيرا لوجه الله. انظر: الحسن الوزان: وصف إفريقيا، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983م)، ج24/02.

[3] يحي بن خلدون: بغية الرواد، مصدر سابق، 125/01، 126.

[4] ابن الزيات أبي يعقوب يوسف: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار ابي العباس السبتي، تح: احمد التوفيق (الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب بالرباط، 1997م)، 324.

إذ أن "أبا مدين شعيب" لما حل بمدينة بجاية حمل إليها كتاب "إحياء علوم الدين للغزالي"[1] ولجـأ في تبسيط أفكاره في أطروحة بسيطة جذبت إليه الطلبة والمريدين، كما درّس "الرسالة القشيرية"[2] واطلع طلبتـها على "رعاية المحاسبي" فكان بذلك أن ساهم في إدخال ثلاثة مصنفات صوفية سنية إلى بلاد المغرب الأوسط.[3]

بالإضافة إلى صوفية من إشبيلية ومرسية وشاطبة وقرطبة، اضطرتهم أوضاع الأندلس المضـطربة إلى الاستقرار في تلمسان وغيرها من مدن المغرب الإسلامي وقد عملوا خلالها على التعريف بمصنفات التصـوف المشرقية ذات الطابعين السني والفلسفي[4]، وبسطوا مضامينها لجمهور الطلبة والمريدين، وآثروا حركة التصوف بمؤلفاتهم وإنتاجهم في الفكر الصوفي.

ومن أسماء هؤلاء الصوفية الأندلسيين الذين قاموا بإدخال إنتاجهم الصوفي إلى تلمسان وغيرها ونحوا في تشكيل اتجاهات صوفية لم تكن معروفة بالمرة في المغرب الأوسط نذكر منهم:

---

[1] كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، يشتمل أربعة أقسام: ربع العبادات، ربع العادات، ربع المهلكات، وربع المنجيات، و هو من أجل كتب الإسلام في معرفة الحلال والحرام، و الإمام الغزالي هو محمد بن محمد بن محمد الطوسي، ولد سنة (450هـ) رحل إلى نيسابور وبغداد والحجاز والشام ومصر ودمشق وسكن بها في زاوية نسبت إليه توفي سنة (505ه) له العديد من المؤلفات منها: المنقذ من الضلال. أنظر: عبد الرحمن بن خلدون : شفاء السائل، ص 34، الزركلي: الأعلام، 22/07.

[2] الرسالة القشيرية، كتبها الإمام القشيري سنة (437هـ) إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام، تصحيحا لأوضاع كثيرة إنحرفت، وبيانا لما ينبغي أن يكون عليه المريد الصادق، مبينا فيها جانبين، الأول: سيرة رجال التصوف وبعض أقوالهم ، الثاني: مبادئ السلوك ومناهجه، ولقد كانت هذه الرسالة ولا تزال النبع الصافي الذي يستقي منه كل دارس للتصوف، أما مؤلفها فهو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الشافعي ولد سنة (376هـ) أخذ العلم مبكرا ليصبح شيخ خرسان، الف العديد من الكتب منها التيسير في التفسير، توفي سنة (465هـ). أنظر: شفاء السائل، ص 43، الأعلام، 57/4.

[3] ابن الزيات: مصدر سابق، 319.

[4] التصوف نوعان: 1- التصورف السني: كان خلال القرنين الاولين للهجرة يتميز بمظاهر الإلتزام بأوامر الله، ونواهيه والإقتداء بحياة النبي صلى الله عليه وسلم وزهد في الدنيا، ثم تطور في القرنين 3 و 4 هـ/9-10م أصبح منتحلوه يهدفون إلى الوصول إلى نفس لا يصدر عنها سوى أفعال الخير عن طريق الإرادة والرياضة بالقيام والتهجد والصوم، ثم اصبح في القرن 5هـ/11م يترع إلى كشف عن عالم الغيب كمعرفة صفات الله ورؤية العرش والكرسي والملائكة عن طريق المجاهدات. 2- التصوف الفلسفي: نشأ عن إهتمام الصوفية بعلوم المكاشفة التماسا لمعرفة الله، واكتساب علومهن و الوقوف على حكمته وأسراره والإطلاع على حقائق الموجودات، فظهرت منذ ق 3هـ/9م عدة نظريات فلسفية تباينت في كيفية الوصول إلى هذه الأهداف. انظر: عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، فصل في علم التصوف، 514هـ، شفاء السائل ص48، بونابي: التصوف في الجزائر، ص38-44.

* "أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن السراج الإشبيلي" (ت 675ه/1277م)[1] الذي أدخل مصنفين في التصوف هما "قوت القلوب لأبي طالب المكي" و"الإرشاد لأبي المعالي"، وتلقين *"أبي قاسم أحمد بن عجـــلان القيسي" (ت 675هـــ/1277م)[2] لجمهور العام طرق ومناهج الصوفية والصالحين.

* أبو بكر بن سعادة الإشبيلي (ت600هـــ/1202م)[3]: روى عنه العديد من العلماء ومنهم أبو إسحاق بن احمد الهواري، أبو زكرياء بن عصفور و أبو العباس المري وأبو العيش بن عبد الرحيم الخزرجي، وكان مجـــود للقرآن ضابطا، محدثا، ناقدا، عالي الرواية، نزل تلمسان وعمر بها إلى وفاته.

* كما درّس "أبي عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي (ت699هـــ/1299م)[4] لعدد مـــن المصـــنفات والمغربية مثل كتاب ، "فضل قيام الليل وفضل تلاوة القرآن" للإمام أبي بكر الأجري.[5]

* ابو عبيد الله الشوذي (ت أواخر القرن 6هـــ/12م): ابو عبيد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي، قال عنه ابن مريم : "إمام العارفين وتاج الأولياء المحققين وسيد الصالحين... وهو من أكابر العلماء العباد العارفين بالله، كان قاضيا بإشبيلية آخر دولة بني عبد المؤمن ثم فر بنفسه مـــن القضـــاء و أوى إلى تلمســـان في زي المجانين[6]حدثنا عنه الإمام أبو إسحاق الدهاق الذي سنورد له ترجمة لاحقا. قال : "أتيت من مرسية زائرا عمة لي بتلمسان وتطوفت يوما بتلمسان، فرأيت هذا الشيخ...، قال لي: "بماذا تحترف"؟ قلت: "بالقراءة"، قـــال:

---

[1] ابن القنفذ أبي العباس القسنطيني : أنس الفقير وعز الحقير، نشره وصححه محمد الفاسي وأدولف فور، (الرباط، منشورات المركز الجامعي، كلية الآداب، 1965م)، 49.

[2] الطاهر بونابي: التصورف في الجزائر خلال القرنين 6 و7هـــ/12 و 13م (نشأته-تياراته-دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، (الجزائر: دار الهدى للطباعة، 2004)، 75.

[3] يحي بن خلدون : البغية، مصدر سابق، 129/01.

[4] ابن القفذ: الوفايات، مصدر سابق، 335.

[5] أبو عبد الله العبدري: رحلة العبري، تح علي إبراهيم كردي (دمشق: دار سعد للنشر والتوزيع، 2005م)، 86.

[6] ابن مريم: البستان، مصدر سابق، 68.

"أتريد أن تقرأ"؟ قلت "نعم"، فقرأت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم شيء من الأدب، قال المخبر: فكل ما تسمعونه من أدبي فمنه استفدت، وعنه أخذته في مدة حولين كاملين.[1]

وساهم أبو عبد الله الحلوي في نشر التصوف بتلمسان في شكله الشعبي المتمثل في نزعة الزهد والخلوة ودفن بها خارج باب علي فكان قبره محل إقبال الزائرين.[2]

* أبو إسحاق بن دهاق (ت611هـ/1214م): هو إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوس من اهل مالقة وسكن مرسية، يكنى أبا إسحاق ويعرف بابن المرأة، كان فقيها حافظا للرأي مشاورا شارك في الآداب وغلب عليه علم الكلام، وله تأليف منها شرح الإرشاد لأبي المعالي، وكتاب في مسائل الإجماع وتجول أحيانا ودرس في غير ما بلد.[3]

وقد نزل من مرسية إلى تلمسان أوائل القرن (7هـ-13م) و استقر فيها مدة عامين كان قد ألف كتاب شرح فيه أسماء الله الحسنى، كما شرح كتاب "محاسن المجالس" لصاحبه أبي العباس بن العريف (ت536هـ/1141م) والمتضمن للمقامات التي يمر بها السالك للوصول إلى معرفة الله على طريقة الغزالي، لذا من المحتمل أن يكون قد صحب إلى تلمسان هذه المؤلفات أو لقنها لطلبة تلمسان خاصة وأنه درّس بإحدى مساجدها مدة حولين.[4]

كما احتضنت مدينة تلمسان العديد من مؤلفات الصوفية الأندلسيين، صحيح أنها كانت قليلة مقارنة مع بجاية خلال القرنين (6-7هـ/12-13م) إلا أن هذه المؤلفات القليلة كان لها صدى قوي وذيع صيتها في كامل المغرب الأوسط ومنها:

[1] يحي بن خلدون: البغية، مصدر سابقن 127/01.
[2] عبد الحميد حاجيات: تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط، مجلة عصور (وهران: جامعة وهران، مختبر البحث التاريخي، 2011م)، عدد 38/02.
[3] ابن الآبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفضاعي: التكملة لكتاب الصلة، (الجزائر: المطبعة الشرقية، 1919م)، 200.
[4] الطاهر بونابي: مرجع سابق، 80.

* مؤلفات أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن، التجيبي (ت610هـ/1213م): من أهل مدينة لفنت عمل بمرسية، وأخذ بها القراءات عن كوكبة من العلماء الأندلسيين ورحل إلى الشرق فأدى الفريضة، و أخذ هناك عن شيخه أبي طاهر السلفي الذي قال له: "تكون محدث المغرب إن شاء الله"، قد جمع في أسمائهم على حروف المعجم تأليفا مفيدا أكثر فيه من الآثار والحكايات والأخبار.[1]

وقفل من رحلته الحافلة هذه فاخذ عنه في سبتة سنة (594هـ/1197م) ثم نزل تلمسان واتخـذها وطنا، وحدث بها وألف، ورحل الناس إليه، وسمعوا منه كثيرا، وكان حافظا للحديث محافظا على إسماعـه، عدلا خيارا، مقيدا لما روى، مفيدا بما جمع، وتمكن من إثراء الحياة الصوفية بجملة من المؤلفات في الزهد أبرزها كتاب "الأربعين في الفقر وفضله" وكتاب "الحب في الله" وغيرها من المؤلفات التي كان يدرسها على الطلبـة والمريدين[2] .

وفي مضمونها دعوات إلى ترغيب النفوس في ترك الدنيا، وحب الله، والإقبال على التصوف لما فيه من فضائل ومزايا، مستعملا في تبليغ هذه الأهداف الروحية أسلوب الوعظ والتذكير على طريقة شيخه الزاهـد "عبد الحق الإشبيلي" (ت581هـ/1185م).[3]

* أبو العيش بن عبد الرحمن الخزرجي (ت 7هـ/13م): اشبيلي الأصل، روى ببلده عن أبي بكر محمد بـن يوسف بن مفرج بن سعادة وأبي عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي، فسر الكتاب العزيز، وشرح الأسماء الحسنى، وصنف عقائد أصولية في الدين، وكتب في أصول الفقه، وله في التصوف نظم حسن كثير في الزهد وسـبل الخير والوعظ وتتريه الباري سبحانه وتعالى[4]، وتوفي بتلمسان، ودفن خارج باب كشوطة منها عفا الله عنه.[1]

---

[1] المقري: نفح الطيب، مصدر سابق، 160/02، 161.
[2] محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية، مصدر سابق، 172.
[3] بونابي: المرجع السابق، 78.
[4] يحي بن خلدون: البغية، مصدر سابق، 103/01.

* عبد الرحمن الفازازي القرطبي (ت627هـ/1230م): ولد بقرطبة ونشأ بها ثم سكن تلمسان وغيرها، كان مشاركا في أصول الفقه، ذا معرفة بعلم الكلام ناظرا في الفقه، ومال للتصوف وشهر به، له أشعار في الزهد ومال لصحبة المريدين والسعي في مطلبهم ودعا إلى ضرورة التشدد إزاء أهل البدع.[2]

ناهيك عن عائلة العقباني وهي أسرة تنتمي إلى قرية عقبان بالأندلس، هاجرت إلى تلمسان في فترة الاضطرابات التي عمت البلاد الأندلسية، وعندما استقر بها المقام بتلمسان اشتغلت بالعلم والثقافة على غرار الأسر العلمية الأخرى التي برزت في هذه الفترة خلال القرن (8هـ/14م)، ونبغ منها علماء فضلاء خاصة في ميدان القضاء والتشريع الإسلامي.[3]

وسنفرد ترجمة لاحد أبنائها وهو: * أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني (ت854هـ/1450م): الفقيه الإمام شيخ الإسلام ومفتي الأنام الرحلة أحد الشيوخ المحققين الفضلاء، تخرج على يده جملة من العلماء منهم ابنه أبو سالم وحفيده محمد بن مرزوق حفيد الحفيد، ومحمد بن العباس ويحي المازوني والحافظ التنسي والقلصادي والرصاع وأبو البركات النائلي والونشريسي... له تعليقة على ابن الحاجب الفرعي، وأرجوزة تتعلق بالصوفية في اجتماعهم على الذكر.[4]

ونلاحظ في نهاية هذا المطلب أن العلماء الأندلسيين المختصين في العلوم الشرعية سواء فقهاء أو محدثين أغلبهم يحملون لقب الصوفي وهذا يدل على زهدهم في الدنيا خاصة بعد فقدانهم للأندلس، وبهذا حملوا إلى مدينة تلمسان وغيرها من حواضر المغرب الإسلامي، مصنفاتهم وعلومهم التي لقنوها للطلبة والمريدين، وأثرت

---

[1] نفسه، 104.

[2] أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة (طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1989م)، 239.

[3] يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة (الجزائر: دار البصائر، 2009م)، 71/02.

[4] محمد مخلوف: شجرة النور، مصدر سابق، 255. التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، 365.

في أفكارهم فانعكس ذلك في ثقافتهم الدينية، إذ ساهموا في تحفيظ القرآن الكريم للصغار والكبار ونشروه بصورة مكثفة ومتواصلة مما ساعد على محو الأمية وحماية القرآن الكريم من الضياع.

وممن اشتهر من الفقهاء الزيانيين نذكر: "أبا العباس أحمد بن محمد بن مرزوق"[1] (ت741هـ/1341م)، "أبو زكريا يحي بن الصيقل"[2]، "أبو عبد الله بن مرزوق"[3] (ت681هـ/1282م) "أبو العباس أحمد بن منصور بن صاحب الصلاة"[4] والشيخ "أبي عثمان بن الخياط"[5] ، والشيخ "ابي عبد الله ابن النجار"(ت749هـ/1350م)[6]

ب- العلوم اللغوية/الأدبية:

وتأتي العلوم اللغوية والأدبية في الدرجة الثانية بعد العلوم الشرعية، باعتبارك أن الأدب له علاقة مباشرة مع علوم الشريعة وبخاصة العربية بلغتها، ونحوها، كما كان الأدباء وبصفة خاصة النثار، يحوزون على موطئ قدم في البلاط، فكانت تسند لهم مهمة إنشاء الرسائل بمختلف أنواعها.

أما عن الأدباء الأندلسيين الوافدين على تلمسان منذ القرن (7هـ/13م) فهم:

* محمد بن عبد الله بن داود بن الخطاب الغافقي": المعروف "بأبي بكر بن خطاب"، كان فقيها شاعرا ناثرا، من أهل مرسية، كتب بغرناطة عن ملوكها وقفل إلى مرسية وقد اختلت أمورها فارتحل إلى تلمسان[7].

كانت الحركة الأدبية قوية وقتذاك بتلمسان، فزادت قوة بأثر "أبي بكر بن خطاب" وغيره من النزلاء الأندلسيين فقد حدثنا عبد الرحمن بن خلدون عن أثر رسائله في المغرب فقال: "وصدر عنه من الرسائل في

---

[1] يحي بن خلدون: البغية، مصدر سابق، 115/01.
[2] نفسه.
[3] نفسه، 114.
[4] نفسه، 116.
[5] نفسه، 117.
[6] نفسه، 119.
[7] ابن مريم: البستان، مصدر سابق، 227.

خطاب خلفاء الموحدين بمراكش وتونس في عهود بيعتهم ما تنوقل وحُفظ" ففهم من هذا القول أن أبا بكر كان قدوة للكتاب في المغرب وديباجته في رسائلهم.[1]

وقد جرت بينه وبين جماعة من أدباء عصره مخاطبات ومراجعات أبانت عن فضله وسعة علمه من فهم وحس، وتوفي بتلمسان سنة (636هـ/1238م)[2]، أو بعد (680هـ) على قول لسان الدين.

وقد تتلمذ على يد ابن خطاب العديد من الأدباء، نذكر منهم الكاتب الشاعر المميز محمد بن خميس التلمساني، وكان رواية له، ولا يستبعد أن يكون قد تأثر به، كما اشتهر من العلماء التلمسانيين في هذا الجانب، ابن مرزوق الخطيب، المقري الجد والشريف التلمساني.[3]

وكانت هناك رسائل أدبية أو إخوانية تمثل مجموعة من المواضيع التي كتبها أدباء تلمسان، فتشمل عموما على أغراض الوصف، والعتاب، والشكر والمدح والتهنئة والتعزية والشفاعة والتهادي والتشوق والتحية وغيرها، من المواضيع المعتادة عند الأدباء.[4]

ويستحضر لنا الأستاذ عبد العزيز فيلالي نقلا عن كتاب فصل الخطاب لابن الخطاب" رسالة تعزية تصف لنا حالة النفس وتأثرها عند سماعها بفقدان أحد الأقرباء أو الأصدقاء، و أحيانا تمتزج التعزية بالتهنئة خاصة إذا كان المتوفي سلطانا، فيعزي ولي العهد ويهنئه في نفس الوقت باعتلاء العرش، كالرسالة التي وجهها "ابن خطاب إلى الأمير أبي سعيد عثمان بن يغمراسن، بمناسبة وفاة والده واعتلائه سدة الحكم جاء فيها: "وقد كان من وفاة مولانا السلطان أبي يحي والدكم، ما جرى به القدر وشاب لأهله صفو الحياة الكدر، ولأن القلوب حزنا وصبر سبيل العزاء وعرا حزنا، فياله رزءا فادحا وثكلا جرى بنا في ميدان الأسى جامحا، وفض

---

[1] محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1983م)، 210.

[2] أبي عبد الله محمد المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة للنشر، 1973)، 332/06-333.

[3] عيد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، مرجع سابق، 456/02-457.

[4] عبد القادر بو حسون: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس، مرجع سابق، 136.

العيش وعلم الحليم الوقور الطيش، وصار شجا في الصدر معترضا، فلو قاومته نفوسنا لغديناه بها عن طوع منا ورضا..." ويضيف الكاتب "هنأ الله مولانا هذا الصنع الذي نسخ كل كرب وأدخل النور في كل قلب، وأجل الصنائع موقعا وأنورها مطلعا، ما أهدى الجدل إلى الصدور ومحا أثر الحزن منها بيد السرور، وأعقب التعزية التهنئة كما عقب الظلام بالنور"[1].

ونورد أديبا أندلسيا آخر أثر في علماء الدولة الزيانية وتأثر بها ألا وهو : "لسان الدين بن الخطيب" (ت776هـ/1374م)[2]، الوزير الأديب والمؤرخ والشاعر، من كبار رجال غرناطة، الذي أقام بتلمسان حوالي سنتين سنة 772هـ/1370، أيام الاستلاء المريني عليها.

كان لقدوم ابن الخطيب إلى تلمسان أكبر أثر في تكوين يحي بن خلدون وتوجيهه نحو التأليف في التاريخ، وإتقان الكتابة الفنية، وغير ذلك مما اشتهر به الوزير الغرناطي، ويتجلى هذا التأثير في طريقة تأليف "بغية الرواد" وكذلك في أسلوبه، وما يتضمنه من سجع ومحسنات بديعية، ولاسيما أن لسان الدين كان قد بلغ آخر مرحلة من حياته، وكان قد ألف معظم تأليفه، فكان شعره يروق الأدباء أما نثره فكان ينال إعجاب الكتاب حتى أنه ألف كتاب "ريحانة الكتاب" ضمنه نماذج أدبية لرسائله، يعرضها على الادباء ليتبعوها. [3]

إضافة إلى أن "لسان الدين" امتاز بكثرة مراسلاته مع علماء المغرب الأوسط، وقد ذكرت المصادر العديد منها، لاسيما التي كانت بينه وبين شيخه "أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب"[4] نذكر منها رسالة "لسان الدين" يمدح فيها شيخه، نذكر منها: "سيدي بل مالكي بل شافعي، ومنشلي من الهفوة ورافعي وعاصمي عند

---

[1] عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، 462/02.

[2] محمد مخلوف: مصدر سابق، 230.

[3] يحي بن خلدون: البغية، مصدر سابق، 37/01، 38.

[4] أبو عبد الله ابن مرزوق الخطيب: ولد سنة (711هـ/1311م) بتلمسان، اعتكف على حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية وآدابها بتلمسان، لقب بالخطيب، والجد، و الرئيس، ذو وجاهة عند السلاطين، خدم ملوك بني مرين، فرأس عند السلطان أبي سالم رياسة كبرى وامتحن بعدها وغرب، فاستقر بمصر معدودا في فقهاء المالكية، توفي سنة (781هـ/1381م). أنظر البغية، 115/01ن يحي بوعزيز: اعلام الفكر في الجزائر، 40/02.

تجويد حروف الصنائع ونافعي، الذي بجاهه أجزلت المنازل قراي، وفضلت أولاي، والمنة لله تعـالى أخـراي، وأصبحت وقول الحسن هجيراي"[1]

ومن أبرز الأدباء الأندلسيين أيضا الذين كان لهم نشاط بتلمسان نذكر منهم :

* أبو الحسن طاهر بن علي بن محمد بن عبد الرحمن السلمي": من جزيرة شقر، وسكن مرسـية ثم تلمسان، روى عنه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عيسى الحسني الذي لقاه بتلمسان، وكان ذا حظ كبير من النظم والنثر، شديد العناية بتقييد الأشعار والرسائل، وله فيها مصنفات، وكتب بخطه الكثير في كل فن، وشهر بسرعة الكتب.[2]

* "أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش التجـيبي": سـكن سرقسطة، أخذ عن أبيه وأبي الخطاب أحمد بن أبي الحسن، وكانت له عناية تامة بالأدب وكان كاتبا محسـنا بارع الخط، رائق الطريقة فيه، نفاعا لأصحابه وذوي معرفته، كان مترله مألفا لطلبة العلم يأوون إليه، و قـد استقضي بسبتة و بتلمسان، ومن المؤكد أنه قد درس في هذه الأخـيرة كمـا فعـل ببلـده وتـوفي سـنة (629هـ/1231م).[3]

* "إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي المكنى أبا إسحاق" (ت790هـ/1388م) كان إماما جليلا، من المجتهدين المحققين والفقهاء المحدثين، خاض في علوم اللغة والنحو، وفي بيان مترلته العلمية يقول التنبكتي: "كان من أفراد محققي العلماء الأثبات وأكبر متقني الأئمة التقات، ذو القدم الراسخ في العلـوم والإمامة العظمى في الفنون، فقها وأصولا وتفسيرا وحديثا وتربية وغيرها".[4]

[1] المقري: نفح الطيب، مصدر سابق، 204/06.
[2] أبو عبد الله المراكشي: الذيل والتكملة، مصدر سابق، 155/04، 156.
[3] ابن الآبار: التكملة، مصدر سابق، 105ـ أبو عبد الله المراكشي: المصدر السابق، 464/01-465.
[4] التنبكتي: نيل الإبتهاج، مصدر سابق، 48.

* "ابو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن داود البلوي الأندلسي "الإمام الفقيه العالم المتفنن الناظم، الناثر، أخذ عن والده والشيخ القلصادي... وأجازه ابن غازي، رحل هو و إخوته من غرناطة بعد سنة (890هـ/1491م) إلى تلمسان وأخذ عن شيوخها ثم رحل للمشرق[1]

* "أبو عبد الله بن الأزرق": وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي الشهير بابن الأزرق الغرناطي، الغمام العلامة، الخطيب الحجة، الأعرف المؤرخ، الناظم الناثر الرواية، قاضي الجماعة، صاحب الشرح العجيب على مختصر خليل، وكتاب السياسة الملخص من مقدمة تاريخ "ابن خلدون"، وكتاب روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، كتاب بدائع السلك في طبائع الملك، وغير ذلك من الكتب، ارتحل إلى تلمسان مع جماعة من علماء الأندلس بعد سنة (890هـ-1491م) ثم غادر هذه البلدة قاصدا المشرق.[2]

وبهذا القدر اليسير من ذكر الأدباء الأندلسيين الذين حلوا بمدينة تلمسان نكون قد لفتنا الانتباه ولو بنظرة خاطفة حول الحركة الأدبية التي أدخلها علماء الأندلس والتي تمخض عنها المبادلات الفكرية عن طريق المصنفات والرسائل الإخوانية وغيرها من الكتب التي تطرقنا لها في هذا الفصل. ومن بين ثمار هذا التلاقح الفكري نجد الشخصية البارزة في مجال قراءة العربية الشيخ "عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني" (ت792هـ/1389م) الذي درس على جلة من الشيوخ منهم الفقيه النحوي الشيخ "أبي عبد الله بن حياتي الغرناطي" الذي درس عنه، الجمل للزجاجي، وكتاب سبويه، ودرس اللغة العربية مدة طويلة حتى صار قطبا من أقطابها وعلما من أعلامها بمدينة تلمسان.[3]

[1] محمد مخلوف: شجرة النور، مصدر سابق، 273.
[2] المقري: أزهار الرياض، مصدر سابق، 71/01.
[3] ابن مريم: البستان، مصدر سابق، 117، 118.

ج- العلوم التجريبية:

أما العلوم التجريبية كان الاهتمام بها قليل، وكان ظهورها متأخرا، فانحصرت هذه العلـــوم بأيـــدي علماء قلة، وبرز بعضهم في الحساب باعتبار هذا العلم له علاقة مباشرة بالفرائض الذي يحتاج إلى الحســـاب لتوزيع المواريث.

بالإضافة إلى الطب حيث لم تردنا معلومات تفي بالغرض حول الطبابة في الدولة الزيانية، إلا أن هناك من المهاجرين الأندلسيين الذين برزوا في هذا الميدان بتلمسان والذين سنورد أسمائهم فيما بعد.

ومن أبرز العلماء الأندلسيين المهاجرين إلى تلمسان وأثروا في حقل العلوم التجريبية والعقلية نذكر:

* "محمد بن إبراهيم الآبلي التلمساني" (681-757هـ/1282-1356م): هو أبو عبد الله محمد ولد بمدينة تلمسان لكنه من أصل أندلسي إذ هاجر أبوه قرية آبلة ببلاد الجوف شمال مجـــريط بالأنـــدلس، إلى مدينـــة تلمسان.[1]

يعرفه عبد الرحمن بن خلدون بشيخ العلوم العقلية، قرأ كتب التعاليم وحذق فيها، وأضـــله الحصـــر الكبير بتلمسان أعوام المائة السابعة، فخرج منها وحج، ثم رجع وقرأ المنطق والأصلين على الشيخ "أبي موسى عيسى ابن الإمام"[2] بتونس، وجاء إلى تلمسان بعلم كثير من المعقول والمنقول.[3] كما تفـــوق في الرياضـــيات

[1] يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة، مرجع سابق، 26/02.

[2] أبو موسى وشقيقه أبو زيد ابنا الإمام: شيخان فقيهان عالمان من اهل برشك، مشهوران بالعلم والرياسة ولهما ببلدهما سلف صالح، نزلا تلمسان في أيام السلطان يغمراسن بن زيان، فأكرم مثواهما وابتنى لها المدرسة المسماة بهما داخل باب كشوطة، فرأسا الناس وجالسا الملوك، وتركا بتلمسان خلفا كثيرا ينتحلون العلم كبيرا وصغير، بلغ كثير منهم مقام التدريس والعلم والفتيا. انظر: البغية، 130/01.

[3] رحلة ابن خلدون، مصد سابق، 41.

ويعتبر مدرسة لرجال العلم مثل: يحي بن خلدون أخوه عبد الرحمن، وابن مرزوق الجد وسعيد العقباني، وابن الصباغ المكناسي، وأبو عبد الله الشريف التلمساني[1]وغيرهم[2]

* "أبو الحسن القلصادي" (ت891هـ/1486م): وهو علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي أبو الحسن الشهير بالقلصادي، ولد بمدينة بسطة الأندلسية شمال شرق غرناطة سنة (815هـ/1412م) أو قبلها، ابتدأ رحلته العلمية سنة (840هـ/1436م) واتجه إلى تلمسان وهي تعيش أزهى ايام حياتها الثقافية فأخذ عن أشهر أعلامها، وفي هذه الفترة ألف كتابه "التبصرة الواضحة في مسائل الأعداد"، وكان يعقد حلقات للدرس ويتولى الإقراء، فيحضر جم غفير من الطلبة للقراءة عليه والاستفادة منه، وكان من الذين قرأوا على القلصادي بتلمسان الشيخ "أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني (ت 895هـ/1490م) صاحب التصانيف في علم الكلام، أيضا أبو عبد الله محمد الملالي.[3]

* "أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن شلوط المعروف بالشبارتي" (ت610هـ/1213م : من أهل بلنسية، له رحلة حج فيها، وسمع بمكة، ثم قفل إلى المغرب فسكن تلمسان مدة، وأخذ عنه هنالك، وتحول بعدها إلى بلده أين روى عنه أبو عبد الله بن الأبار، وكان محدثا، ومحترفا بالطب ماهرا فيه.[4]

وعلى غرار المسلمين الأندلسين فإن هناك جالية من اليهود أيضا الذين هاجروا إلى تلمسان، وكانت لهم مكانة خاصة في مجال الطب، وقد ذكر لنا الرحالة عبد الباسط المصري في رحلته إلى بلاد المغرب سنة (869هـ/1464م) عن التقائه بواحد من هؤلاء اليهود وهو:

---

[1] احذ الشريف التلمساني عن شيخه الآبلي مؤلفات عدة منها "كتاب الشفا" لمؤلفه ابن سينا، وهو يتكون من ثمانية عشرة مجلد، زيادة على تلاخيص كتب أرسطو إبن رشد الحفيد. أنظر: الرحلة، مصدر نفسه، 70.

[2] سعيدوني: التجربة الأندلسية بالجزائر، مرجع سابق، 91.

[3] القلصادي: رحل القلصادي، مصدر سابق، 31، 32، 33. وقد وردت ترجمته في كثير من كتب التراجم فنجده عند محمد مخلوف: شجرة النور، 261، النفح، 692/2، السخاوي: الضوء اللامع، 15/6، النيل: 209، البستان، 142، الأعلام للزركلي، 163/5.

[4] ابن الأبار: التكملة، مصر سابق، 227/3. أبو عبد الله المراكشي: الذيل والتكملة، 413/05.

* "موسى بن سمويل بن يهود الإسرائيلي، المالقي، الأندلسي ولد عام (882هـ/1417م) المتطبب المعروف بأبيه فيقول عبد الباسط أنه لازمه و لم يرى و لم يسمع بذمي كمثله في مهارته في العلم وفي علم الميقات، فقد أخذ عن أبيه وغيره، ومهر في صناعة الطب بمالقة، ثم انتقل إلى تلمسان فقطنها، وقصده الكثير من الفضلاء للأخذ عنه، كما انتهت إليه الرياسة في الطب بتلمسان، وهو مقرب ومختص بصاحبها من غير أن يداخله فيما يتعلق بالمملكة لعقله ورأيه.[1]

إضافة إلى الطبيب * "افراييم انكو" (ت822هـ/1419م)، هاجر من الأندلس واستقر بتلمسان إلى أن توفي بها، وقد تخرج عليه وتتلمذ له العديد من الأطباء اليهود الذين ظلوا يتوارثون معارفه وعلومه الطبية.[2]

وقد عاصر هؤلاء الأطباء الأندلسيين، مجموعة من الأطباء التلمسانيين، ولاشك أنهم تعاطوا معهم في أمور الطبابة، ونذكر منهم:

* "ابو القاسم محمد بن أبي القاسم الحكيم التلمساني"، نبغ في العلوم الطبية والفقه والخطابة قربه السلطان أبو تاشفين الأول، ورعاه حتى صار طبيبه الخاص.[3]

* "ابو عبد الله محمد بن أبي جمعة التلاليسي"، من اهل تلمسان، كان جراحا ممتازا، قام بعملية جراحية لأمعاء السلطان أبي يعقوب المريني، وأخاط الجرح الذي اصابه في بطنه بالمنصورة كطبيب محترف، اختصه السلطان أبي حمو موسى الثاني، فكان طبيب البلاط.[4]

* "محمد بن علي بن فشوش" طبيب تلمساني ماهر، زاول مهنته بكفاءة عالية، وكان يدرس العلوم الطبية بمدارس تلمسان، دارس عنه العالم المصري الرحالة عبد الباسط بن خليل الذي ذكرناه سالفا وفي هذا

---

[1] عمر عبد السام تدمري: رحلة عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس (860-871هـ/1462-1467م) (طرابلس: منشورات الجامعة اللبنانية) د ت، 42، 43.

[2] سعيدوني: مرجع سابق، 146.

[3] عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، مرجع سابق، 248/01.

[4] المقري: النفح، مصدر سابق، 336/05.

المجال يقول: "ولقينا بها (تلمسان) جماعة أخرى من الفضلاء والأدباء والأطباء منهم محمد بن علي بن فشوش، أحد أطباء تلمسان في المزاولة والدراسة، وسمعت من فوائدهم، وحضرت دروس بعضهم ونقلت عنه أشياء وأجازوني".[1]

وفي آخر هذا العنصر ومما تطرقنا إليه من خلال مصادر تاريخ الدولة الزيانية لاحظنا ان هذه الكتب تفتقر لأسماء العلماء الذين تخصصوا في العلوم التجريبية، سواء من علماء مدينة تلمسان أو العلماء الوافدين إليها من الأندلس وغيرها، على عكس العلوم الدينية التي تبوأت حيزا كبيرا من دائرة العلوم.

إلا أن هذا لا ينفي وجود علماء في مجال العلوم التجريبية بتلمسان خاصة في القرن(7-8 هـ/13-14م)، إذا وجدنا أسماء لأطباء ورياضيين ومهندسين أندلسيين أدخلوا هذه العلوم إلى تلمسان ونقلها عنهم أبناؤها الزيانيين فنجد حتى بعض الفقهاء قد ساهموا في ميدان الطب.

ومنهم أبو عبد الله المالقي المتطبب، الذي عاصر العالم الفقيه الآبلي والإمام المقري الجد.[2]

د- طرائق التعليم:

بداية كان التعليم منشرا في شتى المدن والقرى بتلمسان وكان ينحصر في ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: تقوم على تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن وذلك في الكتاتيب والزوايا والمساجد.

المرحلة الثانية: كان الطلبة يقبلون على النحو واللغة والفقه والأدب، فينالون بصناعة وافرة تمكنهم من بلوغ مستوى لائق، ومعرفة دينهم، والإلمام بالعلوم الأدبية[3].

[1] عمر عبد السلام تدمري: رحلة عبد الباسط، مرجع سابق، 43.

[2] التنبكتي: النيل، مصدر سابق، 252.

[3] عبد القادر بوحسون: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس، مرجع سابق، 124.

المرحلة الثالثة: للدين يريدون التخصص في العلم ينتقلون إلى المرحلة الأخيرة في المساجد المشهورة كالجـامع الأعظم بتلمسان، فيطرقون العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه، والعلوم العقلية والأدب وغيرها بمزيد من التعمق والتفصيل.[1]

أما طريقة التعليم التي كانت سائدة بتلمسان هي الحفظ (الطرق القديمة)، حيث يقوم الطلبة بتدوين ما يستمعون إليه من معلومات يلقيها المدرس دون نقاش أو تحليل أو اعتراض، "فيأتون بالكتب التي ينقل منـها وينظرونها حين نقله عنها، فلا يغير منها حرفا، فاعترفوا بحفظه وتحقيق[2]، وهذه الطريقة انتقدها العا لم الأندلسي "أحمد بن إبراهيم الآبلي (757هـ/1356م) فقد انتقد غياب الدافع الشخصي للدراسة، و المبالغة في الحفظ والاعتماد المطلق على النصوص التي عرف بها المغاربة، وهذا ما جعله يتحفظ عن أساليب علماء عصره الذين كانوا يعتبرون الطالب وعاءا على الأستاذ ان يملأه بالمعلومات الغزيرة في شتى العلوم[3]، ويذهب للقول —نقلا عن التنبكتي عن المقري: "إنما أفسد العلم كثرة التآليف وأذهبه بنيان المدارس"[4]، إذ أن الاتجـاه القـوي نحـو البناءات المدرسية واجه بعض المعارضة من طرف "الآبلي" الذي رأى فيها مجرد إغراءات للطلبة حتى تسـهل عملية تبعيتهم للسطلة.[5]

و لم يتأخر عبد الرحمن بن خلدون عن إعلان مخالفته للرأي السائد في المغرب في عصر، الذي كـان ينحصر في الابتداء بحفظ القرآن وترك العلوم الأخرى، من لغة وأدب وفقه وحديث إلى مرحلة ثانية، التي تقع

---

[1] عبد الحميد حاجيات: ابو حمو موسى الزياني، مرجع سابق، 35.

[2] بسام كامل عبد الرزاف شقدان: تلمسان في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1555م)، مذكرة استكمال متطلبات درجة الماجستير في التاريخ (فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، 2002)، 223.

[3] ناصر الدين سعيدوني: التجربة الأندلسية بالجزائر، مرجع سابق، 87.

[4] أحمد بابا التنبكتي: النيل، مصدر سابق، 414.

[5] عبد العزيز بومهرة: التعليم في المغرب والأندلس في ق 8هـ/14م، مجلة التواصل، عدد 11 (عنابة: جامعة باجي مختار، 2003)، 129.

غالبا عندما يتجاوز الطالب سن الطفولة، ويبلغ طور الشباب، وينتج عن هذا التعليم القصور عن ملكة اللسان العربي وقلة التصرف في الكلام.[1]

أما عن طريقة التعليم في الأندلس:

كان الأندلسيون يحرصون على أن يكون القرآن الكريم هو الأساس المتين في تعليم أولادهم، و لم يكونوا يقتصرون على ذلك بل كانوا يضمون إليه تعلم اللغة العربية ورواية الشعر، وتعليم الخط، وقد أفادهم هذا المنهج في ترسيخ المعارف المتنوعة لديهم وكان لإقبالهم على اللغة العربية والشعر والأدب في صغرهم أثر في رسوخ ملكاتهم في هذه العلوم فيما بعد.[2]

ويذكر ابن خلدون أن العلّامة "أبا بكر بن العربي"[3] قد رسم منهجا جديدا في طريقة التعليم وهو أن يقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم، وذلك لأن الشعر ديوان العرب، وفي تقديمه تعليم العربية ضرورة لتقويم اللغة عند الطفل، ثم ينقل منه إلى الحساب ليلم بما لا يصح أن يجهله منه، يلي ذلك دراسة القرآن الكريم كما نصح بأن ينظر في أصول الدين ثم أصول الفقه فالجدل ثم الحديث وعلومه، وينتقد ابن العربي المنهج الذي يفتتح بتعليم القرآن للصبي لعدم معرفته وفهمه لمسائله وقضاياه.[4]

وقد كان للجوء علماء الأندلس إلى مدينة تلمسان وما حملوه معهم من علم وفكر ذا وقع كبير على مجريات الحياة الثقافية بالمدينة، وهذا ما اكده "ابن خلدون" في قوله: "وأما المغرب فنتقل إليه من دولة الموحدين

---

1 عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، 462.

2 سعد الله صالح البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316-422هـ/928-1030م) (السعودية: جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية و إحياء التراث الإسلامي، مكتبة الملك فهد للنشر، 1997م) 144.

3 هو محمد بن عبد الله المعافري (468ـ-543ه/1075-1148م) من أهل اشبيلية و كان من حفاظ الحديث و كبار العلماء رحل إلى المشرق و أفاد من علماءه و كانت له مكانة رفيعة بين علماء الأندلس، أنظر: ابن بشكوان: الصلة، 590/02.

4 يحيى بن خلدون: البغية، مصدر سابق، 23/01.

من الأندلس حظ كبير من الحضارة، واستحكمت من عوائدها لما كان لدولتهم من الاستلاء على بلاد الأندلس"[1].

فنجد عدد كبير من الأندلسيين الذين نظموا حلقات تعليم بالمدارس والمساجد وخاصة بالمسجد الجامع، الذي كان قبل هذه الآونة مركزا من مراكز الثقافة العربية الإسلامية منذ عهد سحيق، ولكن إثر نزوح الأندلسيين إلى تلمسان أصبح معهدا للتدريس لا يقل أهمية عن جامع الزيتونة أو القرويين[2] ، فاشتهرت مدينة تلمسان كونها حاضرة ثقافية وعلمية، خاصة بعد ظهور مدارس تعليمية لأول مرة في مسيرتها التاريخية التي كانت تؤطرها الحلقات الدراسية بجامع تلمسان الأعظم، والمساجد المحيط به، وتخرج منها عدد كبير من العلماء الأعلام والفقهاء والأدباء المبرزين وهذه المدارس هي: "مدرسة أولاد الإمام" التي أسسها السلطان "أبو حمو موسى الأول" سنة 710هـ/1310م، "المدرسة التاشفينية" تعد ثاني مؤسسة زيانية، بناها السلطان أبو تاشفين الأول، المدرسة اليعقوبية التي أسسها السلطان أبي حمو موسى الثاني سنة (765هـ/1354م).[3]

1 عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، 668.

2 محمد طمار: تلمسان عبر العصور، مرجع سابق، 225.

[3] صالح بن قربة: مصادر تاريخ مدارس تلمسان في العهد الزياني (الجزائر: المركز الوطني للدراسات، 2007م) 141.

ثانيا: في مجال الفنون

لم يقتصر تأثير الجالية الأندلسية بتلمسان على الجانب العلمي فحسب بل تعداه إلى أكثر من ذلك، إذ أشرنا من قبل إلى أن هذه الجالية حملت معها علومها وآدابها وفنونها وغير ذلك إلى الأماكن التي حلت بها. ومن خلال تصفحنا لمصادر البحث، استطعنا أن نستخرج ونلم ببعض الآثار الفنية الأندلسية التي لا تزال شاهدة إلى يومنا هذا عن ماضي الحضارة العريق للدولة الزيانية بمدينة تلمسان.

والسؤال هنا: فيما تتمثل هذه الآثار الفنية؟ وما الدور الذي لعبته في تطوير الحضارة الزيانية؟

أ- فن الخط

عرّف لنا ابن خلدون الخط فقال "هو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس. فهو ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية، وهو صناعة شريفة، ... فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الأغراض إلى البلد البعيد ... ويُطّلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين ... وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناغي في الكلمات والطلب لذلك، تكون جودة الخط في المدينة إذ هو من جملة الصنائع ..."[1]

وقد عرفت الدولة الزيانية ازدهارا في فن نسخ المصاحف وأمهات الكتب الدينية ومختلف الكتب العلمية والأدبية، وفن الرسائل الديوانية في البلاط الزياني، هذه المؤلفات التي ملئت بها القصور و الخزائن العامة والخاصة، و تنافس الناس في اقتنائها أو نسخها، فبرز بذلك فن الخط والتجليد والتوريق والتزويق، وتذهيب العناوين وتلوين بعض حروفها، و تجميل أشكالها و إخراجها في شكل جميل يليق بمضامينها.[2]

وزاد فن الخط تألقا في تلمسان بعد انتشار أهل الأندلس في عدوة المغرب وإفريقية، فكانت أمنية الفقهاء والمتدينين والخطاطين وطلاب العلم، أن يتقربوا إلى الله بنسخ المصاحف ووقفها، فكان "أبو عبد الله محمد

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، مصدر سابق ، 444.

[2] محمد بن أحمد بن أقرون : مظاهر الثقافة المغربية ــ دراسة في الأدب المغربي في العر المريني ـ&(المغرب : دار الثقافة للتوزيع ، 1958 م) . 139

الأكبر ابن مرزوق" يشتغل بالقراءة وعلوم القرآن، فكان مصحفيا يكتب المصاحف وهي ظاهرة منتشرة بين الأوساط المتعلمة بمدينة تلمسان، بحيث كانوا يتنافسون في كتابتها في عهد ابن مرزوق الخطيب (ق 8 هـ/14 م) على طريقة أهل الأندلس المشهورين بحسن الخط وضبط الكتابة[1]، ويتفننون في ضبطها.

و قد كان خطهم يشبه خط "الغطوسيات"[2] حسب تعبير ابن مرزوق الخطيب، نسبة إلى اسرة ابن غطوس الأندلسية المشهورة بجودة الخط وحسنه وضبط الكتابة، وهذا دليل واضح على أن الناسخين والفقهاء التلمسانيين قد تأثروا بالخط الأندلسي خلال العهد الزياني، لاحتكاكهم بالأندلس وبالمهاجرين الأندلسيين[3].

ونحن نتعجب من سكوت ابن خلدون عن الإشارة لذلك، بينما أكد على أن الخط الأندلسي قد غلب على أهل إفريقية والمغربين (الأوسط و الاقصى)[4]، الذي وصفه بالتدهور والرداءة و الابتعاد عن الجودة، فصارت الكتب إذا نسخت في عهده (ق 8 هـ/14م) لا فائدة منها، لأن القارئ لا يجني منها إلا العناء والمشقة لرداءة الخط وكثرة التصحيف[5].

بينما نجد "المقري" يفند ما ذكره ابن خلدون عن رداءة الخط في بلاد المغرب، ويذكر لنا نموذجا مارس الكتابة وعاصر ابن خلدون، ألا وهو "أبي عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب" الذي كان له دكان بالقيصرية بتلمسان يبيع فيه السلع، وينسخ فيه المصاحف، وكان جد الخطيب ابن مرزوق عندما يعود إلى بيته

---

[1] عبد العزيز فيلالي : مرجع سابق ، 337/02.

[2] الغطوسيات: نسبة إلى عبد الله بن محمد بن علي بن مفرج بن سهل الأنصاري من أهل بلنسية بالأندلس يكنى بأبي محمد ويعرف بإبن غطوس ، إشتهر هو وأخوه وإبنه بإتقان وضبط المصاحف والإعتناء بها أتم العناية مع براعة الخط وحسنه . أنظر :إبن الأبار:التكملة لكتاب الصلة ، (القاهرة: طبعة مكتب نشر الثقافة الإسلامية، 1965م) 836/02.

[3] عبد العزيز فيلالي.مرجع سابق 337/02.

[4] عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة المصدر السابق 448.

[5] نفسه: 449.

يقوم بالقراءة و نسخ المصاحف و الكتب الدينية و كان للخطيب ابن مرزوق هو الآخر خطا رائق ويحسن الخطين المغربي والمشرقي، فكان السلطان "أبو الحسن المريني" يستدعيه لكتابة تحبيسات بالخط الشرقي[1] .

إضافة إلى الأثر الأندلسي على الخط في بلاد المغرب الذي أدخله جماعة من علماء الأندلس ونذكر منهم : "أبو عبد الله محمد ابن الحداد الشهير بالوادي آشي" فيصفه المقري قائلا : "حائز قصب السبق في كثرة النسخ والكتابة"[2]، و كان آية الله في ذلك حتى إني رأيت في خزائن أهل تلمسان بخطه نحو المئة سفر، ورأيت بفاس نحو الثمان مئة، وأخبرني مولانا شيخ الإسلام عمنا مفتي تلمسان، "سيدي سعيد بن أحمد المقري" رحمه الله أنه نسخ بخطه نحو العشرين نسخة من توضيح خليل، فكان الوادي آشي مغرما بالنسخ و التقييد[3].

وكذلك اشتهر من التلمسانيين العلامة "محمد السنوسي" بنسخ الكتب، فكتب نحو ثلاثين كتابا بخطه كلفه بها أحد شيوخه[4].

وقد لاحظنا من خلال كتب التراجم أن هناك عناية بالخط، فمن خلال ترجمتهم لعلماء الدولة الزيانية يقولون بين الحين والآخر إن هذا حسن الخط، أو كان له خطا رائقا. فنستشف من ذلك أن الاهتمام بالخط بحسنه كان موجودا غير أنه لم تتوفر لدينا الوثائق الكافية لتصور المنزلة التي بلغها هذا الفن في المجتمع الزياني وقت ذاك.

ب- فن الشعر و الموسيقى

أما الشعر والموسيقى فهما يكملان بعضهما البعض، وقد عرّف لنا أيضا "عبد الرحمن بن خلدون" الموسيقى والغناء بقوله :"هذه الصناعة هي تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة

---

[1] المقري : النفح مصدر سابق ،391/05 و 416.
[2] المقري : أزهار الرياض ، مصدر سابق 71/01.
[3] نفسه، 308.
[4] ابن مريم : البستان، مصدر سابق،243.

معروفة، يوقع كل صوت منها توقيعا عند قطعة، فيكوّن نغمة، ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعه"[1].

و كان للشعر عند الأندلسيين حظ عظيم، و للشعراء من ملوكهم وجاهة، ولهم عليهم وظائف، والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، ويوقع لهم بالصلات على أقدارهم ... وإذا كان الشخص بالأندلس نحويا أو شاعرا فإنه يعظم في نفسه لا محالة ويسخف ويُظهر العُجُب، عادة قد جُبلوا عليها.

أما تلمسان فقد ازدهر بها الشعر في العهد الزياني، ازدهارا ملحوظا كغيره من العلوم والفنون المختلفة، ويعود الفضل إلى عاملن أولهما: نمو الحركة الفكرية والأدبية التي شدتها حاضرة المغرب الأوسط[2]، ثانيهما: التأثر بالشعر والموسيقى الأندلسية، إذ بعدما سقطت إشبيلية مهد الموسيقى في منتصف (ق 7 هـ/13 م)، هاجر الأندلس ما يقرب من نصف مليون من أهلها إلى شمال إفريقيا واستقروا بها، ونقلوا إليها من كنوز الموسيقى ما كان في الأندلس، وصارت هذه البلاد وارثة هذه الفنون[3].

ومن بين المهاجرين شعراء كبار حملوا معهم فنهم إلى تلمسان فاستطابوا بها المقام فأخذوا يمارسون نشاطهم في نظم الشعر، ومن بين هؤلاء الشعراء نذكر:

- "أبو العيش محمد بن أبي زيد بن محمد بن أبي العيش الخزرجي": إشبيلي الأصل أي من بلاد الشعر والموسيقى الاندلسية، كان أديبا بارعا في الكتابة وشاعرا مجيدا[4]، و من قوله :

الله قل وذر الوجود وما حوى	إن كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكـــل دون الله إن حققتـــه	عدم على التفصيل والإجمال

---

[1] المقدمة، 453. و للتفصيل عن فن الشعر أنظر 659، فصل في صناعة الشعر و وجه تعلمه.
[2] عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق ، 463/02.
[3] محمد الطمار: الروابط الثقافية ،مرجع سابق ، 245.
[4] عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى ، مرجع سابق ،41.

واعلم بأنك والعوالم كلها لولاه في محو و في اضمحلال[1]

- "أبو عبد الله بن الحداد الوادي آشي ": وهو شاعر مفلق وأديب شهير مشار إليه في التعاليم منقطع النظير في الموسيقى، سكن ألمرية واشتهر بمدح رؤسائها، خلف لنا ديوان شعر كبير، وله في العروض تصنيف مزج فيه بين الألحان الموسيقية والآراء الخليلية[2]. و بتلمسان كانت له مصاهرة مع بني مرزوق، ثم آلت إلى مقاطعته، ومن شعره يرثي الشيخ الإمام الحافظ "أحمد بن يحيى الونشريسي" صاحب المعيار، فيقول :

لقد اظلمت فاس بل الغرب كله بموت الفقيه الونشريسي أحمد

رئيس ذوي الفتوى بغير منازع وعارف أحكام النوازل الأوحد

وتا الله ما في غربنا اليوم مثلـــه ولا من يدانيـــه بطـــول تردد

عليه من الرحمـــن أفضل رحمة تروح على مثواه فيضا وتغتدي[3]

- "محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي"، كان كاتبا بارعا، شاعرا مجيدا، نزيل تلمسان، ومما يؤثر من نظمه قوله :

إقنع بما أوتيته تنل الغنـــــا و إذا دهتك ملمّـــة فتصبَّر

وعلم بأن الرزق مقسوم فلو رمنا زيادة ذرة لم نقـــــدر

والله أرحم بالعباد فلا تسل أحدا تعش عيش الكرام تؤجر [4]

[1] يحيى بن خلدون: البغية مصدر سابق ، 103/01 ـــ104 .
[2] لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة مصدر سابق، 334/02.
[3] المقري: أزهار رياض، مصدر سابق ، 306/03 .
[4] لسان الدين إبن الخطيب: نفسه، 428 .

كما كان لموقع مدينة تلمسان بين البساتين الناظرة، وطبيعتها الجميلة الساحرة أثر عميق في إحساس الشعراء و تفجير مواهبهم، وشحذ قرائحهم للإنتاج الأدبي عامة والشعري على وجه الخصوص، فبرزت منهم طائفة ملأت المدينة شعرا ونظما في مختلف الأغراض، تميزت بغزارتها وطول نفسها وجودة نسجها .[1]

وممن كتب الشعر في مدح تلمسان شعراء أندلسيون وآخرون تلمسانيون، نذكر منهم:

- "الحاج أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الشهير بالتلاليسي" إذ قال:

سقى الله من صوب الحيا هاطلا   و بلا ربوع تلمسان التي قدرها استعلى

فكم نلت فيها من أمان قصية   وكم منح الدهر الضنين بها النيـــــلا

وكدية عشاق لها الحسن ينتهي   يعود المسن الشيخ من حسنها طفلا [2]

- ومما مدحت به تلمسان قول الإمام "أبي عبد الله محمد بن خميس":

تلمسان جاءتك السحاب الروائح   وارست بواديك الرياح اللواقــح

كتمت هواها ثم بـــرح بي الأسى   وكيف أطيق الكتم والدمع فاضح[3]

- ومن أحسن قول لسان الدين بن الخطيب في مدح تلمسان:

حيا تلمسان الحيـــا فربوعــــــها   صدف يجود بدرِّه المكنون

ما شئت من فضل عميم إن سقى   أروى ومن ليس بالممنون [4]

---

[1] عبد العزيز فيلالي : مرجع سابق ، 02/ 463 .

[2] المقري: النفح، مصدر سابق ، 07/ 129، 130.

[3] نفسه: 131،132

[4] نفسه: 129

ونلاحظ هنا أن أسماء هؤلاء الشعراء هي نفسها أسماء العلماء الذين ترجمنا لهم في مجال العلوم والمعارف سابقا، إذ أن العالم آنذاك يلم بأكثر من علم إضافة إلى الفنون من حسن خط وبراعة شعر.

وبالنسبة للموسيقى فقد تمخض عن تلاحق الحضارة المغربية الأندلسية أنواع من الموسيقى ومنها "الحوفي" وهو نوع من الغناء خاص بالفتيات وبالشابات من النساء يتغنين به وهن يلعبن في تلمسان وغيرها من مدن المغرب الأوسط، و الحوفي هو شعر باللغة الدارجة تبلغ بعض قطعه أسمى درجات التعبير عن الشعور والعواطف من حب وشكوى[1]. وقد ذكر ابن خلدون في المقدمة هذا النوع من الشعر العامي المنظوم "بلغتهم الحضرية" عند حديثه عن "الموشحات و الأزجال" للأندلس.

ويعرفنا ابن خلدون بالموشحات والأزجال فيقول : "وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ التنميق في الغاية، استحدث المتأخرون منهم فنا منه سموه بالموشَّح، وينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا ...واستظرفه الناس جملة، الخاصة والكافة، لسهولة تناوله، وقرب طريقه"[2]، " ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور، لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها إعرابا واستحدثوا فنا سموه بالزجل"[3]

انتشر أيضا فن الموشحات بمدينة تلمسان، شارك فيه بعض الشعراء ويأتي في مقدمتهم الشاعر الطبيب الوشاح التلاسيلي، الذي مدح ولي نعمته السلطان أبي حمو موسى الثاني وذلك في مناسبة المولد النبوي الشريف لسنة(762 هـ/1361 م).فقال :

يا ويح صب بان عنه الشباب وأودع   لهيب وجد عندما ودعوا

---

[1] محمود بو عياد: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط خلال ق 9 هـ/15م (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر، 1982م) ص 87

[2] عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ،686.

[3] نفسه :696.

أودى به الوجد وفرط الجوى

وهد منه السبب كل القـــوى

ولا به مما اعتـــــرى دوى.[1]

ولا زالت مدينة تلمسان تحتفظ بطابع الموسيقى الأندلسية إلى يومنا هذا ويبرز لنا ذلك من خلال الحفلات التي تقام في المناسبات الرسمية.

ج ــ الفن المعماري :

اشتهرت الأندلس بمعمارها الذي يحمل طابعا خاصا يميزها عن بقية حواضر العالم، والذي ازداد تطورا في عهد سلاطين بني الأحمر الذين كانوا مولعين ببناء القصور، و إنشاء المساجد التي عرفت انتشارا واسعا في مختلف مدن وقرى الاندلس، ومن أهم ما خلفه الأندلسيون في المجال المعماري: مسجد قرطبة، المسجد الجامع بغرناطة، ومسجد الحمراء، التي كان يضرب بها المثل في الرقي الحضاري، ومحط إعجاب الناظرين.

وكذا الأمر بالنسبة للدولة الزيانية، إذ لما أسس بنو عبد الواد إمارتهم، وأصبحت تلمسان إحدى عواصم المغرب، قطعت أشواطا بعيدة في ميدان الفنون والعمران، وقد ساهم في ذلك اتصال حضارة المغرب الأوسط بحضارة الأندلس عن طريق استدعاء ملوك المغرب للفنانين المعماريين الأندلسيين، أو الجالية التي هاجرت إلى بلاد المغرب منذ (ق 7 هـ/13 م)

فنجد أن سلاطين الدولة الزيانية قد استثمروا هذه الفئة الأندلسية ويظهر لنا ذلك من خلال عدة أعمال قاموا بتشييدها فحملت الطابع الأندلسي وتأثرت به نذكر منها:

---

[1] عبد العزيز فيلالي : مرجع سابق ،466/02.

مئذنة المسجد الجامع بتلمسان: يعتبر هذا الجامع أحد روائع الفن والعمارة المرابطية في المغرب الأوسط حيث تداخلت فيه الكثير من مظاهر التأثيرات المغربية والأندلسية، كما أنه يعتبر صورة مصغرة لجامع قرطبة، وقد تم الفراغ من أعمال البناء في (530 هـ /1135 م)[1]

ولقد تعرض هذا الجامع لإصلاحات في العصر الموحدي، وأضيفت إليه مئذنة في العهد الزياني وتقع مئذنة الجامع في منتصف الجدار الشمالي للجامع على محور المحراب نفسه، وهذا يوحي باستمرار توافدت التأثيرات الأندلسية في عصر دولة بني زيان، وهذه المئذنة بنيت في (679هـ /1280 م)[2] وذلك على عهد السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن (681-703 هـ/ 1282- 1303 م).

كانت قصور بني زيان لا يعبر عن حسنها، اختطها "أبو حمو الأول" وابنه "أبو تاشفين" ومنها (دار الملك ودار السرور) واستدعيا الصناع من الأندلس، فبعث إليهما "أبو الوليد بن الأحمر" بمهرة البنائين، استجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين [3]

ومن أعمال السلطان "أبو حمو موسى الأول" المسجد الواقع داخل المشور والقصر السلطاني الذي يتميز عن غيره من القصور، حيث كان مزين بالرخام والفسيفساء الملونة، مبلط بالجبس الأنيق والسقوف الخشبية المدهونة، والثريات النحاسية الفخمة التي تحمل قناديل الزيت والشموع.

وكانت أرض القصر السلطاني في معظمهما مبلطة بالزليج الملون، وتتخلل القصر أحواض من الزهور والاشجار المثمرة، ونافورات المياه كما هو الشأن في القور السلطانية بفاس وغرناطة، فهو معلم من المعالم العمرانية الزيانية المتأثرة مما لا شك فيه بالهندسة المعمارية الأندلسية الرائعة [4]

[1] محمد الطمار. الروابط الثقافية، مرجع سابق، 241 ـــ242.

[2] عبد الكريم عزوق : تطور المآذن في الجزائر،(القاهرة : مكتبة زهراء الشرق للنشر ، 2006م) 53-54.

[3] حاج عبد القادر يخلف : العلاقات الخارجية للدولة الزيانية ، مجلة عصور ،مرجع سابق ، 152.

[4] عبد العزيز فيلالي : مرجع سابق 115/01.

ويعتبر عهد "أبي تاشفين الأول" عصر ازدهار العمران بتلمسان وبلوغه أوج عظمته ورونقه، وكان هذا الامير مولعا بتحبير الدور، وتشييد القصور، مستظهر على ذلك بآلاف عديدة من الأسارى، بين نجارين و بنائين، وزليجين وزواقين. فخلد آثارا لم تكن لمن قبله ولا لمن بعده، كدار الملك ودار السرور، وأبي فهر، والصهريج الأعظم[1].

شاءت الأقدار أن يستولي "بنو مرين" على تلمسان ردحا من الزمن ، فهم الآخرون أبو إلا أن تكن تلمسان تحت ظلهم أحسن مما كانت عليه على عهد الزيانيين، فهذا التنافس بين الزيانيين و المرينيين جعل تلمسان جوهرة المغرب بلا منازع و آية من آيات الفن بالمغرب الأوسط، فاستدعى المرينيين الأسرى الأوربيين و صناع الأندلس لتزيين العاصمة، فبنيت القصور و شيدت المساجد و المدارس[2]

ومن آثار بني مرين بتلمسان "المنصورة" التي أقامها "أبو يعقوب يوسف" المريني، ولا زالت الصومعة وقطع من السور بادية للعيان في ضواحي تلمسان، وتلك المجموعة الفنية المحيطة بضريح الشيخ "أبي مدين شعيب بن الحسن الأندلس" ت (590 هـ/1193م) المحتوية على قصد يدعى دار الفتح أقامه "أبو الحسن المريني" وتذكرنا ساحاته وأروقته وغرفه وبركته بقصر الحمراء[3].

وبزيارة الحسن الوزان إلى تلمسان وصف لنا مساجدها وعمرانها فقال :" وتوجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة، لها أئمة وخطباء، وخمس مدارس حسنة، جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية، شيد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس ".[4]

[1] التنسي: نظم الدر، مصدر سابق ،150البغية، 216/01.

[2] محمد الطمار : مرجع سابق ،238.

[3] محمد بن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن، تح: مارية خيسوس بيغيرا، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1981م) 402.

[4] حسن الوزان : وصف إفريقيا ،مصدر سابق ،19.

الفصل الثالث

علمنا في الفصل السابق أن الجالية الأندلسية التي هاجرت إلى تلمسان استطاعت ان تؤثر في الحياة الفكرية والثقافية بالدولة الزيانية، وذلك يعود إلى تنوع فئات ونشاطات هذه الفئة من علماء وفقهاء ومتصوفة وحرفيين مبدعين إلى غير ذلك من الأندلسيين الذين ساهموا في إبراز الجانب العلمي والفني لمدينة تلمسان وضواحيها.

والسؤال الذي يطرح نفسه: كيفأثرت هذه الجالية في سياسة الدولة؟ وما آثارها على المجتمع الزياني؟

أولا: على مستوى الحياة السياسية

أ–السياسة الداخلية للدولة:

يكمن الأثر السياسي للجالية الأندلسية على الصعيد الداخلي للدولة الزيانية في تولي مجموعة من أبرز أعيان الأندلس لمناصب مرموقة في دواوين الحكم الزياني وهذا يرجع إلى تجاربهم في ميدان الادارة في بلادهم،فهم يتحلون بالخبرة وكذلك السيرة الحسنة، اذ أن هؤلاء الأشخاص أغلبهم فقهاء ومحدثين ومن بين هؤلاء:

*"أبو بكر محمد بن عبد الله بن خطاب المرسي الأندلسي" (686هـ/1287م)[1]:لما اشتهر اعتناء الملك يغمراسن بالعلم وأهله وفد عليه من الأندلس خاتمة اهل الآداب المبرز في عصره على سائر الكتاب (ابو بكر خطاب الغافقي)فاحسن نزله ومثواه وقربه من بساط العز وأدناه، وجعله صاحب القلم الأعلى[2] بعدما كان كاتب الملوك بني نصر بغرناطة لكن الاوضاع لم تكن مستقرة فغادر بلاد الأندلس وقدم إلى تلمسان حيث كانت المنافسة بين سلاطين المغرب على اشدها في اختيار كبار الكتبة والأدباء والفقهاء وإدراجهم في المجالس العلمية والدواوين مثلما فعل العاهل التلمساني الذي استقطب ابا بكر الخطاب

ويذكر ان المستنصر أبا عبد الله بن أبي زكريا الحفصي (647هـ-675هـ/1249-1277م) عمل كل ما في وسعه لاستخدام ابن الخطاب للكتابة،فأرسل له أموالا كثيرة لهذا الغرض، إلا أن ابن الخطاب اعتذر و رد له أمواله فظهر علو شأن هذا الكاتب و بعد همته عند الخليفة الحفصي[3]، ونستشف ذلك مما جاء في كتاب ابن الخطيب إذ يقول و زعموا أن المستنصر أبا عبد الله ابن الامير ابي زكرياء استقدمه على عادته في

---

[1] ابن مريم: البستان، مصدر سابق، 227.

[2] التنسي: نظم الدر، مصدر سابق، 137.

[3] عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، 321/01.

استدعاء الكتاب و المشاهير والعلماء و بعث إليه ألف دينار من الذهب العين فاعتذر و رد عليه المال و كانت أشق ما مرّ على المستنصر وظهر له علو شأنه و بعد همته[1] ومن بين الرسائل التي عثر عليها للكاتب أبي بكر ابن خطاب ما نقله لنا ابن الاحمر في تاريخ الدولة الزيانية أنه رأى كتب ليغمراسن وهو لم يزل مع ملوك الموحدين في ذل و هول ينادونه الشيخ و يناديهم بمولانا و كانت هذه الكتب من انشاء الكاتب أبي بكر الأندلسي.[2]

كما عمل السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن على تشجيع العلماء و الفقهاء فاحتفظ بمن كان في بلاط أبيه من العلماء و الأدباء و أضاف اليهم الشاعر الصوفي و الكاتب المتميز أبي عبد الله محمد بن خميس(ت 708هـ/1308م) وقلده خطة الكتابة سنة (671هـ 1272 م)، ونلاحظ هنا التقاء العلماء التلمسانيين مع نظرائهم الأندلسيين ولا شك أنهم تأثروا بهم وأخذو عنهم الأساليب الإدارية وشؤونها.

*"بني الملاح":كانوا من بيت كريم بقرطبة، يحترفون بذلك البلاط، سبكة الدنانير والدراهم،نزلوا تلمسان مع جالية قرطبة واحترفوا بحرفتهم وزادوا إليها الزراعة وقد اتصلوا بخدمة عثمان بن يغمراسن وابنه أبي زياد وقربهم "أبو حمو" فولى على حجابته منهم محمد بن ميمون بن الملاح ثم ابنه محمد الأشقر من بعده ثم ابنه ابراهيم بن محمد، كانوا مع بقية الوزراء يتجاذبون أطراف الحديث في شؤون الدولة إذ هجم عليهم أصحاب أبو تشفين سنة (718هـ-1318م).[3]

*"ابن وضاح" :من الجماعة التي وفدت على الملك يغمراسن من الأندلس فأكرم وفادتهم وقرب ابن وضاح وقدمه الشورى .[4]

---

[1] ابن الخطيب: الإحاطة، مصدر سابق، 426/02.

[2] ابن الأحمر: تاريخ الدولة ، مصدر سابق، 64.

[3] ابن خلدون: العبر، مصدر سابق، 125/07.

[4] محمد الطمار: تلمسان عبر العصور، مرجع سابق، 84.

*ابي عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلي (ت757هـ/1356م) نشأ بتلمسان وأخذ عن علمائها واشتغل بالمعقولات فأصبح فيها واحد عصره وعكف الناس على تعلمها .لما احتاج ابو حمو الأول إلى من يقوم بضبط أموال الدولة فعمد بذلك إلى الشيخ العلوم العقلية ابو عبد الآبلي فتفادى الشيخ من هذه الوظيفة ولكن السلطان ألح عليه ثم اكرهه فهرب إلى المغرب الأقصى سنة (710هـ/1310م).[1]

*الأخوين "يحيى وعبد الرحمن ابن خلدون" و هما من أصل أندلسي وقد شغلا مناصب سياسية و ادارية في خدمة الامير أبي عبد الله الحفصي وفي خدمة السلطان الزياني ابي حمو موسى الثاني وفي بلاط الامير عبد العزيز المريني و نجد أن يحيى بن خلدون استقر في خدمة أبي حمو بتلمسان حيث قتل سنة (780هـ/1387م)[2].

*"محمد بن احمد بن قاسم بن سعيد العقباني"(ت 871 هـــ 1466 م) فقيها له مشاركة في الأدب وولي قضاء الجماعة في تلمسان من إنتاجه تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر وهو كتاب فريد من نوعه ألفه استجابة لرغبة أبداها أحد المهتمين برعاية الصالح العام وتغيير المناكر و بموقف الشريعة من البدع التي شاعت وبطرق معالجتها.وبدأ كتابه بتمهيد يتحدث فيه عن المصادر الشرعية لقضية الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ثم استعرض ما يقع فيه الاحتساب من منكرات الشوارع و الأسواق و أرباب الحرف و الصناعات[3] و كانت الدولة الزيانية في حاجة ماسة لمثل هذا الكتاب و كاتبه إذ أنه كان الجزار في مدينة تلمسان يخلط مع اللحم شيئا من الكرش و المصران او الشحم على قدر كثرة الثمن او قلته وعلى حسب حال المشتري.كما اعتاد أصحاب بعض الافران أن لا يتركوا الخبز حتى ينضج ثم يطرحوه في الاسواق وفي هذه

---

[1] ابن خلدون: الرحلة، مصدر سابق، 59.

[2] يحيى بن خلدون: البغية، مصدر سابق، 27/01.

[3] محمد الطمار: تلمسان عبر العصور، مرجع سابق، 226-227.

الحالة يجب على محتسب السوق على رأي المؤلف أن يمنع بيعه و يؤدب صاحب الفرن و صاحب الحانوت و المحتسب في تلمسان يتغاضى وقتئذ عن أصحاب الافران و بائعي اللحم لأنهم يؤدون له الرشاوي .[1]

وعلى العموم فقد نجحت هذه الأسر الأندلسية في مهامها الادارية والسياسية في البلاط الزياني على مر السنين حتى ظهرت منهم طبقة سياسية أندلسية متميزة ولا سيما في النصف الأول من (ق 9 هـــ 15 م) تكتلت فيما بينها وأصبحت تمثل مركز القوة في البلاط الزياني تثير احيانا بعض الدسائس و تقاوم معارضيها بمختلف الوسائل للاحتفاظ بالنفوذ و الامتيازات السلطانية و لعلهم كانوا يحاولون فرض نوع من الوصاية السياسية و الحضارية على أهل تلمسان[2]، وهذا ما أثر سلبا على سياسة الدولة الزيانية فنلاحظ أن النخبة المغربية التقليدية داخل البلاط بدأت تشعر أنها همشت و أن مقاليد الأمور أصبحت تفلت من يديها ومن هنا بدأت المؤامرات تحاك ضد هذا أو ذاك أو هذه الفئة أو تلك فكان الصراع عنيفا بينهما و غالبا ما كان ينتهي هذا الصراع بفشل الفئة الطارئة فكان مصير أفرادها إما القتل او الإبعاد.[3]

و أبسط مثال على ذلك ما جرى لأسرة بني الملاح الذين نكبهم أبو تاشفين الأول بن أبو حمو موسى الأول، عندما ثار على أبيه و قتله مع خاصته بالدار البيضاء في تلمسان سنة (718هـــ 1318 م).[4]

ب- السياسة الخارجية للدولة

ومما يؤسف له أن المصادر لم تسعفنا بالمعطيات اللازمة حول أثر الأندلسيون على السياسة الخارجية للدولة الزيانية،ومع ذلك فقد حاولنا استخراج ولو بالنزل اليسير من خلال مرجعين او ثلاثة حول اوضاع

---

[1] موسى لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها و تطورها (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1971)، 54-55.
[2] عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، 179/01.
[3] محمد رزوق: دراسات في تاريخ المغرب، 64.
[4] ابن خلدون: العبر، 125/07.

الدولة الحفصية التي كان لأحد رجال البلاط الزياني من الأندلسيين دور في الأوضاع بينهما وأوضاع الدولة الزيانية مع الإسبان بصفتهم العدو التقليدي للمسلمين .

بداية مع القاضي "بن احمد بن قاسم العقباني" ذكرنا ترجمته سالفا والذي كان له أثر بارز عند ما نشب الخلاف بين أمير تلمسان "محمد بن أبي ثابت الزياني" وسلطان تونس الحفصي "ابي عثمان بن ابي فارس" الذي زحف على تلمسان، فترأس القاضي "محمد العقباني" وفد المفاوضة وانتهى بإبرام صلح بين الأميرين والبلدين شهر صفر (867هـ/1462م).[1]

وبعد إبرام الصلح،بعث الأمير الزياني وفد إلى تونس بهدية ثمينة، قاده القاضي محمد العقباني فسرّ السلطان الحفصي بذلك وأمر بتزيين الأسواق والساحات العامة والشوارع،وعندما عاد صحب معه الوفد التونسي بهدية مماثلة، على رأسه محمد فرج الغربي ليؤكد سلطان تلمسان روح الصداقة التونسية والحفصية، وعندما ساءت العلاقة مرة أخرى عام (870هـ / 1465م) بين البلدين وزحف سلطان تونس على تلمسان،تزعم القاضي محمد العقباني من جديد وفدا من كبار المدينة للمفاوضة والصلح، ونجح في إقناع السلطان الحفصي بإبرام الصلح ليعود الأمن والسلام بين البلدين .[2]

نستشف هنا بأن القاضي محمد العقباني من أصل أندلسي،استطاع تحقيق السلام للدولتين المتجاورتين لمرتين على التوالي،هذا وإن دل على شيء فإنما يدل على حسن سياسته وحكمته التي تركت أثرا في البلاط الزياني.

أما فيما يخص أثر الأندلسيين في سياسة الدولة الزيانية مع الإسبان فيظهر لنا ذلك عندما حال مصير غرناطة إلى السقوط(895هـــ 1490 م)حيث اضطر عمّ ملكها "أبو عبد الله محمد بن سعد" المعروف

[1] يحيى بوعزيز: موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب، (الجزائر: دار الهدى، 2009م)، 173/01.

[2] نفسه، نفس الصفحة.

"بالزغل"إلى مغادرة بلاده فنزل بوهران فيمن انضمإليه من الأعيان الكبراء الذين ايقنوا بنهاية الأندلس الإسلامية و من ثم انتقلوا إلى تلمسان فاستقبلهم سلطانها "الثابتي" سنة (873-910هــ/1468-1505م) .بما يليق بمقامهم من الحفاوة و الإكرام .[1]

فاتصل خبرهم بالملك "فرديناند" بإسبانيا فامتلأ قلبه حقدا و سخطا على ملك تلمسان فادرك "الثابتي" ذلك فبادر إلى السعي في ترضيته "فرديناند" خوفا من شوكته وما يدريك أن ينهض اليه في جموع جرارة لا طاقة للملك الزياني بصدها فيقوض عرشه، فسافر إلى اسبانيا مصحوبا بهدايا ثمينة منها خيول عربية عتاق و لؤلؤة فاخرة نادرة وطيور مصنوعة من الذهب الخالص و قدم ذلك بنفسه إلى ملك الإسبان فانكسرت حدة غضبه عنه ثم عاد السلطان بعد ذلك إلى دار ملكه آمنا .[2]

إذن شكل قدوم "الزغل"أمير الأندلس خطرا كبيرا على تلمسان فاصبح ملكها "الثابتي" يتربص بعين خائفة من مداهمة الهجوم الإسباني وهذا الامر ترك اثرا سلبيا للجالية الأندلسية على الدولة الزيانية لكن ما باليد حيلة لأنه من واجب ابناء تلمسان ان يساعدوا اخوانهم الأندلسيين في السراء و الضراء وذلك للعلاقات التي تجمعهم من بداية الفتوحات الأندلسية .

وقد وقع ما كان يتخوف منه السلطان الزياني اذ منذ سقوط غرناطة اخر معاقل الأندلسيين سنة (897 هــــــ/1492م)أصبحت شواطئ المغرب عامة وسواحل المغرب الأوسط و مدنه على وجه الخصوص عرضة لتهديد يد الجيوش الإسبانية و هجوماتهم المتكررة فنقلوا بذلك الحرب من أرض الإسبانإلى ارض المغرب

---

[1] محمد الطمار: تلمسان عبر العصور، مرجع سابق، 221.

[2] نفسه، نفس الصفحة.

الاسلامي انتقاما من المغاربة الذين استقبلوا الأندلسيين الفارين اليهم من سيوف الإسبان و من محاكم التفتيش.[1]

لكن الجالية الأندلسية لم تقف مكتوفة الأيدي إذ ساهمت في شن الحملات ضد السواحل الإسبانية، مع الدولة الزيانية و لأن خروجهم من الأندلس لموانئ إسبانيا جعلهم يتولون المقاومة، فكانوا يشترون السفن ويزاولون عليها النشاط البحري،ومن بين المدن التي تعرضت لضرباتهم قرطاجة والمرية ومالقا وأن العمليات العسكرية تتم خلال اليل و في النهار بالأماكن المتطرفة .[2]

ومما يؤكد هذا الدور الحربي أنه في سنة (905هـ/1500م) قام أحد أفراد الجالية الأندلسية، الذي سبق له أن التجأإلى وهران مع عائلته، قام بقيادة سفن من المرسى الكبير وهران لضرب قرطاجة، وجند معه أفراد من الجالية الأندلسية وتولى قيادتهم.[3]

و رغم كل هذه الجهود والمقاومة إلا أنها باءت بالفشل،فقد اغتنم هؤلاء المعتدون حالة الضعف التي آل إليها المغاربة نتيجة التطاحن فيها بينهم من جهة، وتسابق الأسر الحاكمة إلى كرسي السلطة من جهة أخرى، فأخذ العدو الأجنبي يدعم هذا الأمير ضد الآخر،ويغذون الفتنة والتطاحن ثم صاروا يتدخلون في شؤونهم الداخلية فضعفت قوتهم وفترت مقاومتهم حتى استطاعالإسبان أن يستولوا على المرسى الكبير في سنة (911 هـ/1506 م)[4] وما إلى ذلك من انهزامات حتى سقطت الدولة الزيانية سنة (923 هـ/ 1518 م)، وخلفهم العثمانيون.

---

[1] عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، 75/01.
[2] مختار حساني: مرجع سابق، 77/02.
[3] نفسه، نفس الصفحة.
[4] عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، 75/01.

ثانيا: على مستوى الحياة الاقتصادية

ويظهر لناالمؤثر الأندلسي على المجال الاقتصادي بتلمسان من خلال الفلاحة، الصناعة و التجارة.

أ–تأثيرهم على الفلاحة

تعتبر الزراعة من اهم المقومات الأساسية لدوران عجلة التنمية في أي بلد كان، وهي عماد التجارة والصناعة وغيرها من النشاطات الاقتصادية، ولقد نتج عن استقرار العنصر الأندلسي بمختلف مدن المغرب الأوسط ومنها تلمسان، لاستصلاح مساحات شاسعة من الأراضي خاصة بالمرتفعات والسواحل، فأصبحت هذه المناطق بفضل مهارة الفلاحين الأندلسيين تشهّر محاصيل زراعية لم تكن تجد العناية والاهتمام لدى الأهالي مثل: زراعة شجر التوت الأبيض والأسود بنواحي القليعة وشرشال، والأرز والقطن بجهات مستغانم و مليانة[1]

ومما ساعد الأندلسيين على تطوير الزراعة معرفتهم بطرق الري الملائمة والتي كانت تقوم على تنظيم محكم ودقيق للمصادر المائية بتلمسان فأقاموا لهذا الغرض الأحواض والصهاريج والسواقي والقنوات وحفروا الآبار وأنشأوا العيون، وخير دليل على ذلك الصهريج الذي أقامه الملك أبو تاشفين[2] الذي يبلغ طوله 150 مترا وعرضه 145 مترا في عمق 3 أمتار وكان إنشاؤه حوالي (716 -738 هــ /1313 -1335 م)، وكان يستعمل هذا الحوض للسباق بين الزوارق والقوارب في أيام الأعياد و الاحتفالات الملكية، وللسقي في الأيام العادية .[3]

ب– تأثيرهم على الصناعة و التجارة

بداية نجد أن ابن خلدون قسم لنا الصنائع إلى ثلاثة أصناف: الأولى منها الصنائع التي تختص بأمر المعاش ضروريا كان أو غير ضروري ومنها: الحياكة والجزارة والنجارة والحدادة وأمثالها. والصنائع الثانية التي

---

[1]ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق ،140.

[2]التنسي : المصدر السابق :150.

[3]محمد الطمار : مرجع سابق : 240.

تختص بالأفكار التي هي خاصية الإنسان من العلوم ونجد فيها: الوراقة وهي معاينة الكتب بالانتساخ والتجليد، والغناء والشعر وتعليم العلم وأمثال ذلك أما الصنف الثالث من الصنائع فهو يخت بالسياسة، كالجندية وأمثالها.[1]

ويضيف قائلا: " على مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذ، واستجادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة. وأما العمران البدوي أو القليل فلا يحتاج من الصنائع إلا البسيط، خاصة المستعمل في الضروريات من نجار أو حداد أو خياط أو حائك أو جزار ..."[2]

ومن المتعارف عليه أن الأندلس حضارة ذات عمران واسع ومزدهر بمختلف النشاطات الحضارية، هذا يعني أنها تتمتع بجودة الصنائع والتي ورثتها مملكة غرناطة عندما هاجر إليها سكان المدن التي سقطت بيد النصارى منذ منتصف القرن (7 هــ/13م). إذتطورت بغرناطة صناعة الأسلحة، وصناعة الحرير، وصناعة الخزف، وصناعة الورق التي برع فيها أهل الأندلس.[3]

كما كانت الحرف والصناعات في مدينة تلمسان مختلفة ومتنوعة، تعددت معها أصناف الحرفيين والعاملين في القطاع الصناعي والحرفي، تميزوا بالنشاط والمهارة في إتقان صناعتهم ومنتوجاتهم الحرفية التقليدية، التي عرفت تطورا ملحوظا في عاصمة بني زيان[4]، وقد تميزت الصناعة الزيانية بالطابع الأندلسي الذي طبعه عليها المهاجرين الأندلسيين نحو بلاد المغرب عموما وتلمسان خصوصا إذا كان سكان المدن يقتدون

[1]عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ،426.
[2]نفسه:427.
[3]القلصادي : مصدر سابق،مقدمة المحقق،17.
[4]محمود بوعياد :مرجع سابق،34.

بالأندلسيين في شتى المجالات، من موسيقى وغناء وشعر وكتابة فنية، وفي مختلف الصناعات، كصناعة النحاس ونحت الرخام، ونقش الخشب إلى غير ذلك ...[1]

وقد استطعنا أن نجمع بعض نماذج التأثير الأندلسي بالصناعة الزيانية ونذكر منها :

تأثيرهم على حرفة النسيج: ونلاحظ ذلك في نسيج الزرابي التي غلب عليها الطابع الأندلسي ابتداء من القرن (7 هـ/14 م)، الذي عرف انتقال طريقة صناعتها من "ألميرية" المركز الرئيس لصناعة النسيج بمملكة بني نصر إلى هنين وتلمسان.[2]

ومن الصناعات المستحدثة التي ارتبطت بالوجود الأندلسي بالمغرب الأوسط ـــ تلمسان ـــ نسج القطيفة "المخمل" التي اختص فيها مهاجرو غرناطة، وصناعة الشبيكة La dentelle التي توارثتها المهاجرات الأندلسيات عن أمهاتهن سواء من حيث الآلات المستعملة في نسجها أو الطريقة والطرز المتبعة في تشكيلها .[3]

وكانت الورشات الحرفية والوحدات الصناعية، لمدينة تلمسان، تضع العدد من المواد المصنوعة كالأغطية الملونة والألبسة و الأقمشة بمختلف الألوان، والحائك و البرنوس التلمساني المشهور بخفته وجودته ومتانته المطلوب في جميع الأقطار المغربية، وكان سهل وادي الوريط بضواحي تلمسان يحتوي على مجموعة من الورشات الصناعية، التي أسها المهاجرون الأندلسيون، ونقلوا إليها صناعة الأطرزة والمنسوجات الحريرية والقطنية، والكتان والصوف وسائر الأواني المنزلية.[4]

تأثيرهم على صناعة المعادن: دعم المهاجرون سواء من الأندلسيين المسلمين أو اليهود صناعة المعادن الثمينة، كالمجوهرات والذهب والمرجان وغيرها، و تم تنمية هذه الصناعة بمدينة تلمسان وتطويرها عن طريق

---

[1] عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى ،مرجع سابق 58.

[2] ناصر الدين سعيدوني :التجربة الأندلسية ،مرجع سابق ،141.

[3] نفسه141.

[4] عبد العزيز فيلالي : مرجع سابق ،222/01.

مهارتهم وخبرتهم في هذا المجال وبرؤوس أموالهم[1].ومن بين العائلات الأندلسية التي اشتغلت بهذه الصناعة، عائلة "بنو الملاَّح" الذين كانوا يشتغلون بحرقة صياغة الذهب والفضة، ونزلوا تلمسان وزاولوا بها حرفتهم، وعينوا في وظيفة صك الدنانير والدراهم.[2]

ومما يدل على تطور الصناعة أيضا تلك الشجرة التي كانت عند ابي تاشفين وهي شجرة من فضة على أغصانها جميع أصناف الطيور الناطقة واعلاها صقر فإذا استعمل المنفاخ في أصل الشرجة و بلغ الريح مواضع الطيور صوتت بمنطقها و إذا وصل الريح موضع الصقر صوت فانقطع صوت تلك الطيور كلها.[3]

وتوجد هناك صناعات أخرى أثر فيها الأندلسيين مثل المصنوعات الجلدية خاصة صناعة الأحذية، وصناعة السروج واللحوم[4] إضافة لما ذكرناه سابقا عن التأثر بفن الزخرفة الأندلسية، إذ وجد بمسجد أولاد الإمام قطع من الجص، المنقوش كانت مزخرفة على إطار المحراب، وتوجد الآن بمتحف تلمسان وهي عبارة عن قبيبة مزينة بالقرنصات تشكل مشكاة المحراب وتكتنفها أوراق مزدوجة تتدرج فيها غصون ملتوية وزهورات ثلاثة أو أربعة فصوص .[5]

وكان أصحاب الحرف، والمهن والصناعات في مدينة تلمسان، يكسبون أموالا كثيرة، ويعيشون حياة راقية وقد وصفهم الوزان في قوله :"والصناع أناس أقوياء يعيشون في هناء ومتعة، ويحبون التمتع بالحياة "و"يلبسون لباسا جميلا كالتجار، إلا أنهم يرتدون لباسا قصيرا والقليل منهم يتعمم، ويكتفون بوضع قلنسوة بدون ثنايا على رأسهم، وينتعلون نعالا تعلوا حتى نصف الساق"[6] وهذا دليل على أنهم كانوا يعيشون حياة

---

[1] نفسه، 222/01.

[2] عبد الرحمن بن خلدون : العبر، مصدر سابق،93.

[3] التنسي : نظم الدر ، مصدر سابق،151.

[4] مختار حساني : مرجع سابق، 93،94/02.

[5] نفسه : 97/02.

[6] حسن الوزان : وصف إفريقيا ، مصدر سابق 21/2.

تتسم بالسعة واليسر والرفاهية، بينما الحرفيين والمستخدمين بالأجر اليوم فوضعيتهم تتسم بالدخل الضعيف، مما يجعلهم يحيون حياة الكفاف، إن لم نقل حياة الفقر والبؤس.[1]

ونجد أن هذه الصنائع والحرف قد انعكست بالإيجاب على الحياة الاقتصادية ويظهر لنا ذلك من خلال النشاط التجاري بتلمسان فكانت أسواقها، وساحاتها وأزقتها على نسق جمل بحيث كانت الدكاكين والحوانيت، التابعة لأرباب الصناعة والتجارة مرتبة ترتيبا جدا على غرار ما هو بفاس.[2] فكانت لهم مصانع للحياكة و دكاكين للخياطة، وغيرها من المهن، في الدروب و الأزقة، وكانت التربيعات والرحبات التي يملكها التجار و أهل الصناعة، موزعة على أحياء المدينة و دروبها و في الأسواق العامة والمتخصصة.[3]

وموقع مدينة تلمسان الاستراتيجي سمح لها أن تكون مركز أعمال، ومقر صناعة وتجارة هام بالمغرب الأوسط، فقد سهل لها موقعها القريب من الموانئ الساحلية الشمالية، ووجودها في مكان تلتقي فيه الطرق التجارية الكبيرة، أن تكون سوقا عالمية لمختلف السلع والبضائع المتباينة، القادمة من وراء البحر المتوسط، ومن بلاد المغرب والمشرق وجنوب الصحراء

---

[1] الفيلالي :مرجع سابق 222/016.

[2]مارمول كربخال : إفريقية مصدر سابق ، 299/02.

[3]الوزان : مصدر سابق ، 19/01.

ثالثا: على مستوى الحياة الاجتماعية:

إضافة إلى التأثير السياسي والاقتصادي، كان للأندلسيين تأثيرا بارزا على الحياة الاجتماعية في تلمسان.

أ–البنية الاجتماعية :

صاحب الهجرة الأندلسية إلى تلمسان قدوم جماعات متنوعة من يهود ونصارا ومسلمين بالدرجة الأولى،تختلف من حيث المستوى الاجتماعية والفكري،فهناك الأغنياء والفقراء وهناك العلماء والفقهاء والحرفيين،وشكلوا طبقات وزعت حسب مستواها عبر المدن والارياف.

وقد أعطى السلطان يغمراسن التلمساني أهمية كبيرة لموضوع المهاجرين الأندلسيين،وقد تناولنا من قبل انه اصدر ظهيرا في شأنهم يبين حقهم في السكن وتملك الأراضي الزراعية المناسبة لنشاطهم في ارضهم المفقودة. وعمل خلفاء يغمراسن بنفس الظهير،فنجد اكبر جالية أندلسية نزلت بتلمسان،هي التي كانت في عهدي الاميرين"عبد الواحد بن ابي عبد الله " (814-827 ه/1411-1424م)،وخلفه "أبي العباس احمد الزياني" (834-862ه/1431-1462م)،وقد استقبلهم هذا الأخير بحفاوة ووجههم حسب طبقاتهم وحرفهم،فالعلماء والوجهاء وسراة القوم،انزلهم عاصمة مدينة تلمسان،وانزل معهم التجار والحرفيين،وأصحاب رؤوس الأموال في درب خاص بهم،عرف يدرب الأندلسيين [1] .

كما قام بإسكان العامة والفلاحين ضواحي المدينة وأحوازها،ولا سيما في وادي الوريط فانتشروا على ضفتيه،حيث شيدوا قرى وبساتين،وأسسوا مصانع عديدة ومتاجر كثيرة،وغرسوا الحقول والمزارع المختلفة الثمار،فجلبت للبلاد وأهله الخير والنعمة.[2]

---

[1] ابن مريم : البستان ،مصدر سابق ،127 .

[2] مختار حساني : مرجع سابق ،79/03 .

وقد وصلت قرى هذه الجالية الأندلسية إلى " جبل بيدر " حيث توجد زاوية الشيخ "احمد بن محمد المناوي الحسني"(ت 930 ه/1524م)،وإلى مدشر " الشولي " وعين تالوت "و " مدشرعين فزة " وغير من المداشر في ضواحي مدينة تلمسان واحوازها.[1]

فنلاحظ أن درجة الثقافة ونوعيتها والمهنة التي كان يحترفها المهاجرون الأندلسيون،هي التي تحدد المكان والوظيفة الذي يتناسب مع طبائعهم واختصاصهم الحرفي والمهني،فأهل البادية والزراعة وجهوا إلى المناطق التي تكثر فيها الفلاحة ووجه المثقفون والتجار والحرفيون وأصحاب رؤوس الأموال إلى مدينة تلمسان عاصمة بني زيان، اما أصحاب الملاحة والصيد البحري،فاستقروا بالمدن الساحلية.

ويؤكد ذلك قول المقري: " ولما نفذ قضاء الله،على اهل الأندلس بخروج اكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة،فتفرقوا ببلاد المغرب من بر العدوة،حتى بلاد افريقية،فأهل البادية قد مالوا إلى البوادي،إلى ما اعتدوه ودخلوا على أهلها،وشاركوهم فيها،فاستقوا المياه،وغرسوا الأشجار واحدقوا الأرض.وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها،فشرقت بلادهم وصلحت احوالهم".[2]

فبالإضافةإلى الشرائح الاجتماعية الأندلسية التي ذكرناها،توجد من بينهم طبقة هامة من المهندسين والبنائيين واليد العاملة الفنية التي أرسلها السلطان الغرناطي أبو الوليد (713-725 ه/1313-1325م) إلى تلمسان في إطارالتعاون الفني والاقتصادي والعسكري الذي كان سائدا بين تلمسان وغرناطة.[3]

وكذلك هاجر الأطباء والعلماء والفقهاء والادباء إلى مدينة تلمسان حاملين معهم مصنفاتهم ومكتباتهم،فاحتضنهم البلاط الزياني بحفاوة،وقلد بعضهم خطط الكتابة والحجاية،وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق .

---

[1]عبد العزيز فيلالي : مرجع سابق 176/01 .

[2]المقري : نفح الطيب ،مصدر سابق ،156/3 .

[3] ابن خلدون : العبر ،مصدر سابق ،227/7 .

ومما يتضح لنا ان الجالية الأندلسية بمختلف فئاتها المتكونة من أربعة أصناف وهي :

1- اهل البادية؛

2- المثقفون والحرفيون؛

3- التجار وأصحاب رؤوس الأموال؛

4- أصحاب الملاحة والصيد البحري.

ظلوا محافظين على مميزاتهم وخصوصياتهم الأندلسية حتى بعدما استقروا في مدينة تلمسان وضواحيها،وبهذا شكلوا عنصرا من عناصر المجتمع التلمساني،وينادونهم بالأندلسيين .

ب- العادات والتقاليد :

إن من ابرز مظاهرالتأثيرالأندلسي على المجتمع الزياني على غرار التأثير في الفن والعمران والموسيقى،يظهر جليا في التقاليد ومظاهر الحياة اليومية،فقد حافظ الأندلسيون على تقاليدهم الخاصة سواء في المعاملات او في المناسبات،وبحكم تجاورهم وتعاملاتهم مع المجتمع الزياني فقد تأثر الزيانيون بهذه العادات والتقاليد التي جلبها الأندلسيين معهم،فمارسوا البعض منها .

ومن بين تلك الخصوصيات اهتمامهم الكبير بمظهرهم،الخارجي،فلباسهم الغالب على طبقاتهم،الفاشي بينهم " الملف " ويصنع من الصوف شتاءا،وفي الصيف يصنع من الكتان والحرير،وهو قطعة من القماش تلف حول نصف الجسد الأعلى،ويطرح طرف منها على الكتف،وهي ملونة،وتختلف ألوانها بحسب الثروة والمكانةكما كانوا يلبسون اللباس المغربي،المعروف الان بالجلابة.[1]

[1] ابن الخطيب : الإحاطة،مصدر سابق ،38/1- 41 .

فكانوا يظهرون بشكل أنيق،حتى قال فيهم ابن الخطيب : " فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الاهوية المعتدلة [1] .

اما نسائهم فقد بالغنا من التفنن في الزينة والمظاهر والتنافس في الذهبيات،والديباجيات والتماجن في اشكال الحلي من خلال القلائد والخلاخيل،والشنوف الذهب الخالص والاحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرد ونفيس الجوهر.[2]

واشتهر الأندلسيين بعنايتهم الكبيرة لنظافة احسامهم وثيابهم،وفي ذلك يخبرنا " المقري ":" واهل الأندلس اشد خلق الله اعتناء بنظافةما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم،وفيهم من لا يكون عنده الا قوت يومه،فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به " [3].

وقد عرفوا بالاحتياط وتدبير في المعاش،وحفظ ما في أيديهم خوف ذل السؤال،فلذلك قد ينسبون للبخل [4]. كما انهم كانوا يدخرون الطعام،فمثلا: يدخرون العنب سليما من الفساد إلى ثلثي العام إلى غيره من التين والزبيب والتفاح،والرمان،القسطل،والبلوط،الجوز،واللوز،إلى غيرذلك مما لا ينقطع مدده الا بفصل يزهد في استعماله [5]، وكان اهم غذائهم القمح،والذرة إضافة إلى الأرز والعدس والثريد والكسكس والبركوكس[6].والسمك،وكما كانوا يأكلون المجبنة بالباء المشددة .

---

[1] ابن الخطيب : اللمحة البدرية ،مصدر سابق ،64 .

[2] ابن الخطيب : اللمحة البدرية، مصدر سابق، 66 .

[3] المقري : النفخ ،مصدر سابق ،223/1 .

[4] نفسه، نفس الصفحة .

[5] ابن الخطيب : نفسه ،65 .

[6] بسمية الاندلسيين بالبركوكس او الزيرزين ،وهو طعام لا يقدم في الضيافة ،وله مثل يقول : " اش دخل البركوكس في الضيافة " ،يعنون الشخص الذي يخلط الأمور .

ومن الواضح ان هذه " المجبنة " كانت مفصلة في جميع أرجاء الأندلس إضافة إلى المغرب وقد بقيت الكلمة في اللغة الإسبانية بصيغة "الموخابنة" (almojabana)،وهي نوع من المعجنات المحشوة بالجبن المقلي،وتؤكل مغلقة بالسكر والقرفة،والعسل وشراب الورد [1] .

وعموما فقد تأثر سكان المغرب الأوسط خاصة سكان مدينة تلمسان بتلك العادات والخصائص المميزة للأندلسيين،وأخذوا عنهم صفات عديدة في الطبخ واللباس،وكذلك ظاهرة الاعتناء بالبساتين والمنتزهات.

ج–اللهجة العامية

تميزت الطائفة الأندلسية بلهجتها العربية التي كانت شائعة بغرناطة وحواضر الأندلس الأخرى، وقد تأثر بها جماعة الحظر بالمدن الكبرى كتلمسان نظرا لرقة مخارج حروفها وسهولة التلفظ بها، ولغناها بالمفرداتوالعبارات الدقيقة التي تعكس غنى الحياة المادية الفنية للأندلسيين، ولعل أهم ما ميز هذه اللهجة هو قلبها حرف القاف ألفا[2]، وهذا عكس لهجة سكان الأرياف والبوادي التي كان يتلفظ فيها القاف بنطقها الصحيح.[3]

كما أن الأندلسيين من جهة أخرى عملوا في نطاق الحواضر على شيوع استعمال مفردات اسبانية، وانتشار تعابير لغة الفرانكة blangua franca التي يغلب عليها الطابع الاسباني ذلك في مجال الأعمال التجارية والعلاقات الخارجية، في حين ضلت بعض العائلات الأندلسية تتداول اللغة الاسبانية لفترة طويلة[4].

---

[1] دايفدويتر : فنون الطبخ في الاندلس ،ضمن اعمال الحضارة العربية الإسلامية في الاندلس ،(بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية للنشر ،دت)–42- 1023/02 .

[2] و هذا ما بقي على ألسنة التلمسانيين إلى يومنا هذا فمثلا يقولون "أتلك" بدل "قلت لك"

[3] سعيدوني: مرجع سابق، 145.

[4] نفسه، نفس الصفحة.

وقد تم لنا العثور على ما يفيد وجود تشابه كبير بين أهل تلمسان والأندلسيين في اللهجة العامية وذلك من خلال كتاب لحن العوام "لزبيدي" و اشتهدنا بوضعها في جدول و ما يناسبها من الأقوال في المغرب الأوسط.

الرقم	قول أهل الأندلـــــــــــــــس	قول أهل المغـــــــرب	الصواب
1	يسمون القملة الصغيرة "صئبانة"	يسمونها صيبانة	صؤابة وجمعها صؤاب
2	يقولون لمن طحن القمح وغيره غليظا "دشش"	دشش القمح	جشش القمح
3	عندهم مفرد الذبان	يقولون للمفرد منها ذبانة	ذباب و جمعها أذبة
4	يسمون نبتة باسم "العرعار"	العرعار شجرة مفيدة	اسمها العرعر
5	الفتى مذهول	الفتى مذهول	الفتى ذاهل
6	الكلية الواحدة يسموها بالكلوة	أيضا يسمونها بالكلوة	الأصل كلية
7	حك هو ظرف تحفظ فيه الأشياء الصغيرة مثل المجوهرات	نفس المقولة	الأصل هو حق و جمعه أحقاق
8	اقحام الياء في بعض الكلمات مثل الطيحال، الثيمار	نفس المقولة	الأصل بدون اقحام الياء
9	يسمون شفرة الحلاقة موس و جمعها أمواس	نفس المقولة	الأصل تسمى موسى و جمعها مواس
10	يسمون بعض الفؤوس بالشاقور	نفس المقولة	الأصل صاقور و جمعها صواقير
11	يقولون هذا لحم ني	نفس المقولة	الأصل هذا لحم نيئ
12	يقولون لفلان جنان كبير	نفس المقولة	الأصل لفلان جنة كبيرة وجمعها جنان
13	اسم احد النباتات "الخبيز"	نفس المقولة	الأصل الخباز
14	يسمونأحد مواد البناء بالجبس	نفس المقولة	الأصل يسمى بالجص
15	يقولون نزل الشتاء	نفس المقولة	الأصل فيها نزل المطر
16	يقولون خممت	نفس المقولة	الأصل خمنت

المصدر: أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي: لحن العوام، تح رمضان عبد التواب (القاهرة: المطبعة الكمالية، 1964) 76-271 (بتصرف).

ولا يسعنا في ختام هذه المحاولة التي تطلعنا من خلالها إلى رسم صورة عن أثر الجالية الأندلسية بتلمسان وأحوازها، وذلك عبر تتبع هجرات هذه الجالية وأماكن استقرارها بحاضرة تلمسان، إلا أن نخلص إلى تسجيل الملاحظاتوالاستنتاجات الآتية:

- أن العلاقات التاريخية بين تلمسان والأندلس علاقة متينة تمخضت عنها سهولة التواصل بين الجالية الأندلسية والدولة الزيانية أثناء الحروب الصليبية ،ويتضح لنا ذلك من خلال المساعدات المادية والمعنوية التي قدمها الملوك الزيانيين للأندلس وكذلك حسن استقبالهم للجالية الأندلسية وتمليكهم للأراضي الزراعية، ويبدو أن العاطفة الدينية والأخوية والإنسانية كان لها دور كبير في تمتين تلك العلاقات.
- أن أغلب المهاجرين من أهل البيوتات في الأندلس،و على هذا عمل سلاطين تلمسان على استثمار هذه العقول المهاجرة وتوظيفها في مختلف القطاعات الحضارية، سواء في الدواوين الحكومية أو مراكز التعليم كالمدارس والمساجد، أو في مجال الصنائع والفنون.
- كان للجوء علماء الأندلس لمدينة تلمسان وما حملوه معهم من فكر وعلم ذا وقع كبير على مجريات الحياة الثقافية بالمدينة التي أضحت قبلة للعلماء والمحدثين، وحملة الرأي على مذهب الإمام مالك،وما فتئت تزداد تألقا واستقطابا من خلال التواصل بين العلماء الأندلسيين والتلمسانيين، ويتجلى ذلك في الحرص على الاستفادة من مختلف المصنفات التي أدخلها الأندلسيين أو خلفها كبار العلماء بتلمسان .
- ومما لاحظناه في عملية البحث أن المؤثر الأندلسي السياسي والاجتماعي لم يبلغ الدرجة التي بلغها المؤثر الأندلسي في الجانب العلمي والثقافي بتلمسان، لأن أغلب المهاجرين كانوا كما أشرنا من قبل من أهل بيوتات الأندلس أي من العلماء والفقهاء الذين لا تشغلهم السياسة ولا الاحتكاك بالمجتمع إلافيما ينفع كالتدريس والوعض الديني، أما من اشتغل في الجهاز الإداري للدولة فهم فئة قليلة و رغم ذلك كان لهم دور بارز، وهذا يرجع لخبرتهم في المجال السياسي الذي مارسوه في الأندلس.

- كما نلاحظ أيضا أن عرفاء البناء الأندلسيين في بلاد المغرب عموما وفي مدينة تلمسان على وجه الخصوص قد قاموا بأعمال معمارية وفنية خالدة، مازالت آثارها شاخصة إلى اليوم تحاكي الدهر وتغالبه بكل صلابة وشموخ، واستطاعوا بكل قوة أن يعبروا بها عما تركوه لنا من تراث معماري وفني عن حضارة أمة الإسلام في الأندلس، ناهيك عن الموسيقى الأندلسية التي لا تزال طابعا من طبوع الغناء في تلمسان إلى يومنا هذا.
- ولا ننسى الأثر الاندلسي الذي لاحظناه على مستوى الحياة الاقتصادية المتمثلة في جانب الفلاحة والصناعة، حيث تم إدخال أساليب جديدة على الري والمحاصيل الزراعية المتنوعة، وقد اعتبرت الحرف الصناعية الأندلسية مصدرا هاما في تنمية النشاط التجاري بتلمسان إذ أضحت هذه الاخيرة مركزا تجاريا كبيرا يربط بين الشرق والغرب ويوصل بين الشمال والجنوب.
- إضافة إلى الموروث الاجتماعي حيث نشاهد أن الجالية الأندلسية شكلت شريحة بارزة في مكونات المجتمع التلمساني، أثرت وتأثرت بالعادات والتقاليد وحتى اللهجة العامية.

والنتيجة النهائية التي نخرج بها هي أن التجربة الأندلسية في تلمسان فريدة حقا وجديرة بأن تفرد بالدراسة، وذلك يرجع إلى ما خلفته هذه الجالية من آثار في شتى العلوم والمعارف والصنائع التي أوردناها في متن العرض،إضافة إلى لمستهم الفنية وعاداتهم الاجتماعية التي توارثتها العائلات التلمسانية، والمناصب السياسية التي تقلدها كبار العلماء الاندلسيين وسمحت لهم بالخوض في الدواوين الحكومية والتدخل في علاقات الدولة الداخلية والخارجية وما نجم عنها.

إلا أنه قد استوقفتني فكرة في إحدى المراجع التي تناولتها تقول:"بأن العلماء الاندلسيين الوافدين إلى تلمسان في (ق 7هـ/13م)كانوا بمثابة البذور التي أنتجت الحركة العلمية والمتميزة التي شهدها المغرب الأوسط بصفة عامة ..."،نعم نحن لاننكر ذلك، لكن لابد لهذه البذور من أرض خصبة تمكنها من النمو

والنضوج حتى تنتج، فكانت مدينة تلمسان هي الأرض المناسبة لذلك إذ يقول عنها البكري:"و لم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن انس".

إضافة إلى النزعة العلمية والثقافية التي كان يتميز بها بعض السلاطين وأمراء بني زيان،الذين كانت لهم إرادة قوية ورغبة شديدةوجهود مستمرة تمتاز بها في ميدان الحركة الفكرية بصفة عامة، ورعاية معتبرة للفنون والآداب والعلوم الشرعية على وجه الخصوص وعنايتهم هذه جعلتهم يشجعون العلماء ويستقبلونهم من مختلف الحواضر المغربية والأقطار الإسلامية ولاسيما منها العدوة الأندلسية.

فلولا تفاعل بني زيان مع الجالية الأندلسية لما كان لها أن تبلغ شأوا في التأثير الحضري بتلمسان، وهذا مايبرز لنا الدور الحقيقي للمجتمع الإثني في التطوير والنهوض بالدولة الزيانية،فالتلاقح الفكري والثقافي الذي كان بين الجالية الأندلسية وبني زيان تمخض عنه ولادة عاصمة تلمسان التي كانت مركز إشعاع حضاري تحاكي قريناتها الكبرى في فاس والقيروان آنذاك، لما تزخر به من الفكر والعمران، كما تعتبر محطة تجارية متميزة حتى سماها المؤرخون بغرناطة إفريقية وجوهرة المغرب.

الملاحق



قصر المشور ومئذنة المسجد الجامع بتلمسان

مدخل لمدينة المنصورة بتلمسان







مدخل لمدينة المنصورة بتلمسان

الببليوغرافيا

المصادر المخطوطة:

- احمد بن عبد الرحمن (ق9هـ/15م):

– مناقب أبي عبد الله الشريف العلوني وولديه (أبو عبد الله الغريق و احمد بن عبد الرحمن)، مخطوط نسخة مصورة (مكتبة الأستاذ بونابي الطاهر)ورقة 147ظ.

المصادر المطبوعة:

- ابن الابار،أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت658هـ/ 1260م):

- التكملة لكتاب الصلة، (الجزائر: المطبعة الشرقية، 1919م).

- ابن الأحمر (ت 810هـ/1408م):

- تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم و تحقيق: هاني سلامة، (مصر: مكتبة الثقافة الدينية، 2001م).

- ابن الخطيب،لسان الدين أبو عبد الله محمد (ت 776هـ /1374م):

- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: محمد مسعود جبران، (ليبيا: دار المدار الإسلامي، 2009م).
- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، (بيروت: دار الكشوف، 1956م).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، (القاهرة: مكتبة الخانجي للنشر، 1974م)، ج2.

- ابن القنفذ،أبي العباس احمد القسنطيني (ت 810هـ/1407م):

- الوفيات، تحقيق: عادل تويهض، (بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، 1983م).
- انس الفقير و عز الحقير، نشره وصححه: محمد الفاسي و أدولف فور، (الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب، 1965م).

- ابن خلدون، أبي زكرياء يحي (ت 780هـ/1378م):

- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم و تحقيق: عبد الحميد حاجيات، (الجزائر: المكتبة الوطنية، 1980م)، ج1.

- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808هـ/1405م):

- العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات محمد بيضون، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م)، مقدمة، ج6، ج7.
- رحلة ابن خلدون: عارضها بأصولها وعلق حواشيها: محمد بن تاويت الطنجي، منشورات محمد علي بيضون، (لبنان: دار الكتب العلمية، 2004م).
- شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق: محمد المطيع، (دمشق: دار الفكر، 1996م).
- مقدمة، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م).

- ابن صعد، محمد بن احمد ابن أبي الفضل (ت901هـ/1496م):
- النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، تحقيق: محمد احمد الديباجي، (بيروت: دار صادر، 2011م).
- ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين (ت 799هـ/1397م):
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محيي الدين، (بيروت دار الكتب العلمية، 1996م).
- ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن احمد (كان حيا 1025هـ/1611م):
- البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، مراجعة: محمد ابن أبي شنب، (الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1908).
- البكري، عبيد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1084م):
- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب جزء من المسالك والممالك، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي للنشر).
- التادلي ابن الزيات أبي يعقوب يوسف بن يحي (ت 617هـ/1220م):
- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: احمد التوفيق، (الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب بالرباط، 1997م).
- التنبكتي، احمد بابا (963هـ/1036م):
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، (طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1989م)، ج1،2.
- التنسي، محمد بن الله (ت899هـ/1493م):
- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظام الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعياد، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب،1985م).
- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت 626هـ/1228م):
- معجم البلدان، (بيروت: دار الصادر، 1988م)، مجلد 2.
- الزبيدي، ابو بكر محمد بن حسن (ت 379هـ/989م):
- لحن العوام، تحقيق: رمضان عبد التواب، (القاهرة: المطبعة الكمالية، 1964م).
- العبدري، محمد البلانسي (ت نحو سنة 720هـ):
- الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاقة، (الجزائر: منشورات يونة للبحوث والدراسات، 2007م).
- الغبريني، أبو العباس احمد بن احمد بن عبد الله (ت 704هـ/1306م):
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحرير: رابح بونار، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981م).

- الفاسي، ابن أبي زرع(ت 726هـ/1326م):

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس،تحقيق: دار المنصور، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م).

- القرماني،أحمد بن يوسف(ت 1019هـ/ 1610م):

- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق: احمد حطيط و فهمي سعد، (بيروت: عالم الكتب، 1992م)، مجلد 3.

- القلصادي، أبو الحسن علي الأندلسية (ت 891هـ/1486م):

- رحلة القلصادي، تحقيق: محمد أبو الاجفان، (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1978م).

- المراكشي، ابن عذاري (كان حيا سنة 712هـ/1312م):

- البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب –قسم الموحدين–، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، المغرب: دار الثقافة، 1985م).

- المراكشي،أبي عبد الله محمد(ت 703هـ /1303م):

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، 1973م).

- المقري، احمد بن محمد التلمساني(1041هـ/1631م):

- نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الصادر، 1988م).

- أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا و آخران، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، 1939م)، ج1.

- الوزان، الحسن بن محمد الفاسي (ليون الإفريقي) (ت 947هـ/1550م):

- وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983م)، ج2.

- كربخال، مارمول:

- إفريقيا، ترجمة: محمد حجزي وآخرون، (الرباط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1984م)، ج1،2.

- مخلوف محمد بن محمد:

- شجرة النور الزكية في طبقات الملكية (العتمة)، (القاهرة: المطبعة السلفية و مكتبتها، 1350م).

المراجع العربية :

- البشري، سعد عبد الله صالح :

- الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس(316-922هـ/928-1030م)، (السعودية: جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية و إحياء التراث الإسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، 1997م).

- بوعزيز، يحي:

- موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب، (الجزائر دار الهدى، 2009م)،ج 1.

- اعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة،(الجزائر: دار البصائر، 2009م)، ج 1،2.
- بوعياد، محمود:
- جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في (ق 9 هـ/15م)، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1982م).
- بونابي، الطاهر:
- التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين /12و13 الميلاديين(نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي و الثقافي و الفكري و السياسي)، (الجزائر: دار الهدى للطباعة، 2004م).
- تدمري، عمر عبد السلام:
- رحلة عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب و الأندلس (866-871هـ/ 1462-1467م)، (طرابلس:لجامعة اللبنانية، د ت).
- حاجيات، عبد الحميد:
- أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره،(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،1982م).
- حساني، مختار:
- تاريخ الدولة الزيانية،(الجزائر دار الحضارة، 2007م)، ج2،3.
- حومد،اسعد:
- محنة العرب في الأندلس، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر،1988م).
- الخطيب مصطفى عبد الكريم:
- معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية، (بيروت: مؤسسة الرسالة،1996م).
- خطيف، صابرة:
- فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، (الجزائر: جسور للنشر و التوزيع،2011م).
- رزوق، محمد:
- دراسات في تاريخ المغرب، (المغرب: إفريقيا الشرق، 1991م).
- الزركلي، خير الدين:
- الأعلام قاموس تراجم لأشهرالرجال والنساء من العرب والمستعربين و المستشرقين، (بيروت: دار العلم للملايين، 2002م)، ج 2،4،6،7.
- شقرون، محمد بن أحمد:
- مظاهر الثقافة المغربية — دراسة في الأدب الغربي في العصر المريني- (المغرب: دار الثقافة للتوزيع، 1985م).
- الطمار،محمد:
- تلمسان عبر العصور (دورها في سياسة و حضارة الجزائر)، تقديم: عبد الجليل مرتاض، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م).

- الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، (الجزائر الشركة الوطنية للنشر، 1983م).
- طه، ذنون عبد الواحد:
- دراسات أندلسية، (ليبيا: المدار الإسلامي، 2004م).
- عزوق، عبد الكريم:
- تطور المآذن بالجزائر، (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق للنشر، 2006م).
- عمورة، عمار:
- الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ إلى 1962م)، (الجزائر دار المعرفة، 2009م).
- فيلالي، عبد العزيز:
- تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، (الجزائر: موفم للنشر و التوزيع، 2002م)، ج1، 2.
- كرد، علي:
- غابر الأندلس وحاضرها، (المكتبة الأهلية للنشر،1923م).
- لقبال، موسى:
- الحسبة الذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها و تطورها)، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1971م).
- مؤنس، حسين:
- شيوخ العصر في الأندلس، (القاهرة: دار الرشاد، 1997م).
- موسى، عز الدين عمر احمد:
- دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، (لبنان: دار الشروق، 1983م).
- الهروس، مصطفى:
- المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن 3هـ نشأة وخصائص، (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1997م).
- هلال، عمار:
- العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين (3-4هـ/9-10م)، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،1995م).

المراجع المعربة:

- أشباخ، يوسف:
- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، تر محمد عبد الله عنان، (القاهرة: مكتبة الخانجي للنشر، 1996م)، ج2.

- ايرفنغ، واشنطن:
- أخبار سقوط غرناطة، تر هلاني يحي نصري، (لندن- بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2000م).
- برنشفيك، روبار:
- تاريخ افريقية في العهد الحفصي من (ق13 إلى نهاية ق 15م)، تر حمادي الساحلي، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1988م)،ج1.

الرسائل الجامعية:

- بوحسون، عبد القادر:
- العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس خلال العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م) مذكرة لنيل الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، (تلمسان: جامعة أبي بكر بلقايد، 2008م).
- شقدان، بسام كامل عبد الرزاق:
- تلمسان في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1955م)، مذكرة استكمال متطلبات درجة الماجستير في التاريخ، (فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، 2002م).
- المشهداني، علياء هاشم ذنون محمد:
- فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف ق6هـ/12م، أطروحة من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي، (العراق: جامعة الموصل،2003م).

الدوريات :

- بن قربة، صالح:
- مصادر تاريخ مدارس تلمسان في العهد الزياني، ضمن اعمال سلسلة المشاريع الوطنية للبحث بعنوان: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، (الجزائر: المركز الوطني للدراسات و البحث، 2007م).
- بومهرة، عبد العزيز:
- التعليم في المغرب و الأندلس في ق8هـ/ 14م، مجلة التواصل، عدد 11، (عنابة: جامعة باجي مختار، ديسمبر 2003م).
- حاجيات، عبد الحميد:
- تطور العلاقات بين تلمسان و غرناطة في العصر الوسيط، مجلة عصور، (الجزائر: جامعة وهران، مختبر البحث التاريخي،2011م). عدد رقم 02.

- سعيدوني، ناصر الدين:

- التجربة الأندلسية بالجزائر: مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط (ق6-7هـ/12-13م)، ندوة: الأندلس قرون من التقلبات و العطاءات، (السعودية: مطبوعات الملك عبد العزيز العامة، 1996م).

- شيخة، جمعة:

- علماء تلمسان من خلال المصادر الشرفية الديباج لابن فرحون وتوشيحة للقرافي نموذجا، مجلة عصور، (الجزائر: جامعة وهران، مختبر البحث التاريخي، 2011م)، عدد رقم 02.

- كريم، عبد الكريم:

- تلمسان من خلال كتاب الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، مجلة عصور، (الجزائر: جامعة وهران، مختبر البحث التاريخي،2011م)، عدد02.

- مؤنس، حسين:

- المساجد، سلسلة كتب عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، يناير 1978م)، عدد 37.

- ويتز، دايفد:

- فنون الطبخ في الأندلس، ضمن أعمال: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، دت)، ج2 .

- مجلة الدراسات التاريخية، مجلة دورية يصدرها معهد التاريخ، جامعة الجزائر، وزارة التربية و التعليم العالي، عدد 6، 1413هـ/1992م.

الكشافات

كشافالأعلام:

" أ "

" ج "

" ح "

" ر "

" ز "

" س "

" ش "

" ط "

" ع "

" م "

كشاف الأماكن:

" أ "

" ب "

" ت "

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات...

فهرس الموضوعات...